السياسة البيزنطية

في مدينة خرسون وأثرها في حماية حدودها الشمالية " ٢٨٤- ٧١١م"

إعداد

د. مرفت محمد عبدالفتاح يوسف الديب

مدرس تاريخ العصور الوسطى، كلية الدراسات الانسانية

بتفهنا الأشراف، جامعة الازهر .

السياسة البيزنطية في مدينة خرسون وأثرها في حماية حدودها الشمالية "٢٨٤- ٧١١م"

مرفت محمد عبدالفتاح يوسف الديب

قسم التاريخ، كلية الدراسات الانسانية- تفهنا الأشراف-، جامعة الازهر

البريد الالكترونى: MervatAbdulfatth2766.el@azhar.edu.eg

الملخص:

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على الدور السياسي الذي أدته مدينة خرسون في السياسة البيزنطية، حيث أدت دورًا مهمًا في حراسة المداخل الشمالية للممتلكات البيزنطية في شبه جزيرة القرم، وفي الوقت نفسه كانت مركز مراقبة لا يقدر بثمن لأطراف الشعوب المتبربرة لجنوب روسيا؛ لأنها أتاحت لهم مراقبة ما كان يجرى في السهوب الغربية من تطورات سياسية وتحركات قبلية، ونجحت في أن تمنع تلك القبائل من مهاجمة القرم والبلقان، ونتيجة لذلك عملت الإمبراطورية على توفير الحماية الكافية لها، وأن تبقى مدينة خرسون تحت سيطرتها مهما كلفها ذلك، وتحصينها سواء من هجمات الشعوب المتبربرة أم من الكوارث الطبيعية.

الكلمات المفتاحية: الحدود الشمالية لبيزنطة – خرسون والدولة البيزنطية – مدن ساحل البحر الأسود وبيزنطة.

Byzantine policy in Cherson and its impact on protecting its northern borders "284-711 AD"

Mervat Mohamed Abdel Fattah Youssef El-Deeb

Department of History, Faculty of Humanities ,- Tafhna Branch- Al-Azhar University

E- mail: MervatAbdulfatth2766.el@azhar.edu.eg

Abstract:

The study aims to shed light on the political role that Cherson has played in Byzantine politics, as it played an important role in guarding the northern entrances to Byzantine possessions in the Crimea, and at the same time it was the center An invaluable observation of the parties of the justified peoples of southern Russia, as it allowed them to monitor what was happening in the western steppes of political developments and tribal movements and succeeded in preventing those tribes from attacking the Crimea and the Balkans, and as a result the empire worked to provide Adequate protection for it and to remain under its control no matter what the cost, and to immunize it, whether from attacks by justified peoples or from natural disasters.

Key words: Northern borders - Byzantium - Cherson and the Byzantine State - cities of the Black Sea coast and Byzantium .

مقدمة:

أدت السياسة البيزنطية دورًا مهمًا في الاهتمام بالمنطقة الشمالية والمحافظة عليها بصفة عامة، وعلى شبه جزيرة القرم وبالتحديد مدينة خرسون Cherson بصفة خاصة، التي تقع على الطرف الجنوبي الغربي منها، ومن المعروف أن موقع خرسون قد أجبر بيزنطة في الاعتماد عليها في تنفيذ سياستها مع المنطقة الشمالية سياسيًا، وكذلك اقتصاديًا ودينيًا، خاصة بعد تعرض مدينة بسبور Bosporus [١]– المدينة الثانية التي كانت تعتمد عليها في البداية– للعديد من هجمات الشعوب المتبربرة، أما موقع مدينة خرسون فقد جعل بيزنطة تنظر بعين الاهتمام إلى تلك المدينة، حيث وجدت أن موقعها أقل مدن البحر الأسود تعرضًا لهجمات الشعوب المتبربرة.

ونتيجة لأهمية تلك المدينة بدأت بيزنطة في منحها العديد من المزايا منها: أنها منحت مدينة خرسون حكمًا ذاتيًا مقيدًا بشروط، لكي تبقى دائمًا تحت سيطرتها، حيث أنها المُنفذ لسياسة بيزنطة مع شعوب الشمال– كانت محاطة بالعديد من الشعوب السلافية والتركية إضافة إلى

([١]) **بسبور:** مدينة تقع على مضيق كرش الذي يربط بحر آزوف بالبحر الأسود، وكانت تُعرف سابقًا باسم البوسفور Bosphorus ، وتشكل جزءًا من الحدود بين آسيا وأوربا.
Moore, W.G., The Penguin Encyclopedia of Places, Second Edition, New York, 1971,p. 114,
محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي" عصر جوستنيان"، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٨١.

الروس[1]-، الذين كانوا دائمًا كثيري الإغارة على أراضي الإمبراطورية، فكانت خرسون تقوم بمراقبة تلك الشعوب وإرسال تقارير سنوية مختومة- بالختم الذي منحته الإمبراطورية لهم- للتأكد من صحة هذه التقارير إلى

---

(1) **الشعوب السلافية:** هم عناصر آسيوية يرجع أصلهم إلى الجنس الآرى والهند أوربى Indo- Europeans وكانت تقطن فى المنطقة الواقعة إلى الشمال Pontic-Steppe وهى المنطقة التى تمثل روسيا حاليا، وتعرضوا فى أوائل العصور الوسطى لضغط شديد، أدى إلى إستعباد الكثير منهم، حتى أن كلمة سلاف والتى تعنى عبد اشتقت فى كثير من اللغات من إسم السلاف، وقد انقسموا إلى ثلاث أقسام: أولها: السلاف الجنوبيون ومنهم الصرب والكروات والسلوفيين، وثانيها: السلاف الغربيون في بولندا وبعض ألمانيا وبوهيميا وموارفيا، وثالثها: السلاف الشرقيون ومنهم الروس البيض في الغرب. انظر سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى"التاريخ السياسى"،جـ١، ط٥، القاهرة، ١٩٧٢، صـ ٦٠٨- ٦٠٧، وفاء مختار غزالى: السياسة الخارجية لدولة الفرنجة فى العصور الوسطى، الطبعة الأولى، دار الأفاق العربية، القاهرة،٢٠١٣، ص٢٢٧.

- **الشعوب التركية:** هم شعوب أوروآسيوية وفي الأصل عشرون قبيلة ويعتزون كلهم إلى "ترك بن يافث بن نوح"، ظهروا في القرن السادس الميلادي، واستولوا في زمن قصير على مساحات تمتد من حدود الصين إلى فارس وبيزنطة، وأن كلمة" توركوا Turkoi الواردة في المصادر البيزنطية قد قبلت على أنها بمعنى الترك، وينقسموا إلى شعوب تركية شمالية مثل البشناق والغز والقفجاق والقوقاز، أما الشعوب التركية الجنوبية مثل الجكل والايغور والتخسى وغيرها. **للمزيد من التفاصيل عن الشعوب التركية . انظر.** محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى: ديوان لغات الترك، مجلد١، انقرة، ١٣٣٣، صـ ٢٧-٢٨، و. بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة احمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٩٦، زيبدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى" بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون"، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥.

- **الروس:** هم شعب إسكندنافي من التجار والمقاتلين جاءوا من المنطقة الإسكندنافية السويدية من جنوب شرق البلطيق واستقروا في شمال روسيا قبل أوائل القرن التاسع، وقيل هم شعب يسمى الفارنج، قام باكتشاف المناطق التى تكونت منها روسيا، حيث سلكوا الطرق المحاذية للأنهار ومنها وصلوا إلى بغداد وإلى أسوار القسطنطينية، والمناطق التى سلكوها كانت تسكنها قبائل سلافية سرعان ما تعايشوا معهم.

See. Nestor; The Russian Primary Chronicle; Translated and edited by Samuel Hazzard Cross, and Olgerd P. Sherbowitz, Wetzor, Third Printing, 1973, p. 47,

- علية عبد السميع الجنزوري: العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية" ٨٦٧-١٠٥٦م"، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩، ص١٥.

عاصمة الإمبراطورية بتطورات الأوضاع في تلك المنطقة، وليس هذا فحسب بل كانت مدينة خرسون بوصفها آخر معاقل بيزنطة تُستخدم منفى لعدد كبير من السياسيين وأيضًا البابوات.

كما أن موقع خرسون المتميز جعلها من أهم موانئ البحر الأسود، مما أدى إلى قيامها بالعديد من العلاقات التجارية والاقتصادية في تلك المنطقة، ودفع بيزنطة إلى الاعتماد عليها خاصة في تجارة الحرير ووصول تلك التجارة إلى عاصمة الإمبراطورية مباشرة دون التعامل مع الإمبراطورية الفارسية التي كانت تفرض رسومًا جمركية باهظة، نتيجة مرور تلك التجارة بأراضيها؛ وقد بذلت بيزنطة العديد من المحاولات لتخليص تلك التجارة من أيديهم، حتى حصلت على بعض دود القز وبدأت في إنتاجه.

ومما دفعني إلى اختيار هذا البحث " السياسة البيزنطية في مدينة خرسون وأثرها في حماية حدودها الشمالية " ٢٨٤- ٧١١م" أنها لم تحظ بدراسة عربية شاملة، وإنما حظيت بدراسة مصغرة عنوانها" أضواء على دور خرسون التجاري من القرن الخامس إلى القرن العاشر الميلادي" للدكتور محمد عثمان، والتي ارتكز فيها على دور خرسون التجاري بعد أن تحولت إلى ثيم Themes" ثغر" [١] من الثيمات البيزنطية.

([١]) **ثيم" ثغر":** تعددت التعريفات والآراء حولهما فهناك من قال: بأنها هي المراكز العسكرية الأمامية للولايات المتطرفة، والتي كانت تقام عادة علي المداخل إلي بلاد الروم، وعلي الموانيء التي تصدر منها الأساطيل للغزو، **ومنهم من قال**: تطلق علي فيلق من الجيش مثل ما يقال جيش الأوبسيق وجيش الأرمينياق، وذلك بناءً علي ما جاء في خطاب الإمبراطور جستنيان الثاني " ٦٥٨- ٦٩٥م" إلي البابا في عام ٦٨٧م بقائمة الأقاليم العسكرية، حيث لم يشر بكلمة ثيمات أو ثغور Themes وإنما أشار بكلمة الجيش ==

أما هذا البحث فقد تناول الموضوع بشكل آخر ويناقش عدة أمور منها: إلقاء الضوء على أهمية الموقع الذي كان السبب في الارتباط بالإمبراطورية البيزنطية، وكيف أجبرها على ضرورة التعامل مع تلك المدينة؟، وكذلك: كيف كان استقرار الوضع في خرسون وعدم تعرضها للإغارة مرتبطًا باستقرار الوضع في بيزنطة؟، وأيضًا: الدور الذي مثلته البيئة الجغرافية لخرسون بين بيزنطة والشعوب المتبربرة، ومن ثم فإن البحث يهدف إلى إماطة اللثام عنها، راجية أن يكون نواة لدراسات عربية شاملة.

==

Exercitus؛ إذ بذلك فهي تعني في الأصل حامية أو فرقة عسكرية تقيم بطريقة دائمة في إقليم ما، وتتولي الدفاع عنه، **ومنهم من قال**: بأنها كل موقع قريب من أرض العدو، أو الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو " كالثلمة في الحائط يخاف هجوم السارق منه". **للمزيد من المعلومات انظر.**

فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الإحتكاك الحربي والإتصال الحضاري، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٤٠، عليه عبد السميع الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية علي حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٥، السيد الباز العرينى: تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٠٧ وما بعدها، ليلى عبدالجواد اسماعيل: الدولة البيزنطية فى عصر هرقل وعلاقاتها بالمسلمين، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١١٠.

- **لمزيد من التفاصيل عن** تحويل مدينة خرسون إلى ثيم عسكري، بعد بناء حصن ساركل Serkil وإقناع الإمبراطور ثيوفيل بتلك الفكرة .

See. Constantine Porphyrogenitos; De Thematibus ,ed. I.Bekker,CSHB, Bonnae,1840, pp. 181- 182, John Skylitzes., A Synopsis of Byzantium History" 811- 1057", treans, Wortley, J., Cambridge, Press, 2010.

طارق منصور: الأقاليم البيزنطية في ضوء كتاب قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس، بحث منشور ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى، جـ١، دار مصر العربية، القاهرة، ٢٠٠١، صـ١٤٩-صـ١٩٣.

وسيحاول البحث أن يتتبع اعتماد بيزنطة عليها من خلال محورين، الأول: يدور حول أهمية موقع مدينة خرسون بالنسبة لبيزنطة، وسوف يتضح من خلاله السبب الحقيقي الذي دفع بيزنطة إلى الاعتماد عليها في تنفيذ سياستها تجاه شعوب الشمال، وكيف استفادت بيزنطة من موقع خرسون؟.

أما المحور الثاني: فيدور حول سياسة الأباطرة البيزنطيين تجاه مدينة خرسون، والذي يُناقش من خلاله دور الأباطرة في الفترة من ٢٨٤- ٧١١م في المحافظة على مدينة خرسون وتحصينها بكل الوسائل الممكنة حتى لا يتم وقوعها في أيدي الشعوب الشمالية، وبالتالي تفقد بيزنطة بذلك المورد الاقتصادي لكل ما تحتاجه من سلع شعوب الشمال، إضافة إلى صد خرسون لمحاولات التمرد ضد الإمبراطورية البيزنطية.

أولًا: أهمية موقع خرسون بالنسبة للدولة البيزنطية.

اهتمت الدولة البيزنطية منذ بداية تاريخها بصفة عامة بمنطقة الحدود الشمالية، والتي تمتد من سهول المجر Hungary غربًا إلى بحر قزوين شرقًا، كما تشمل جبال الكربات The Carpathian Mountains ومراعي الاستبس جنوب روسيا Southern Russia ، والأراضي المنخفضة شمال القوقاز North Caucasus، وشمالًا تأخذ شكل نصف دائرة لتشمل المجاري السفلى للأنهار الروسية الكبرى- الدنيستر Dniester والدنيبر Dnieper والدون Don-، وتستقر نصف الدائرة غربًا على الدانوب الأوسط وشرقًا على الفولجا الأدنى، وهي بذلك تمثل القطاع الغربي من السهوب الأوراسية" السهل الأوربي الأسيوي"- والذي يمتد من السفوح الشرقية لجبال الكربات غربًا إلى السفوح الغربية لجبال خينجان Khingan شرقًا- (١).

---

(1) Toynbee, A., Constantine Porphyrogenitus and his World, London, 1973, p. 428, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth Eastern Europe, 500-1453, New York, 1971, p. 28, المتولي السيد تميم: البشناق والبيزنطيون: دراسة في سياسة بيزنطة الشمالية(٨٥٠-١١٢٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنصورة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٥.

- **نهر الدنيستر:** من أطول الأنهار الروسية، حيث يبلغ طوله ١٤٠٠كم، يتبع مسار شديد التعرج، ويتدفق من جنوب أوكرانيا وشرق مولدوفا ثم يصب في البحر الأسود، مغلق بالجليد لمدة شهرين تقريبًا سنويًا، وشُكل الحدود بين روسيا وألمانيا.

Moore, The Penguin Encyclopedia of Places, p. 228.

- **نهر الدنيبر:** ثالث أطول الأنهار الروسية في أوربا، يبلغ طوله ٢٢٥٠كم، وينبع من مرتفعات فالادي في روسيا ومنها إلى أوكرانيا حتى يصب في البحر الأسود عن طريق خرسون.

Moore, The Penguin Encyclopedia of Places, p. 228.

- **نهر الدون:** يوجد ثلاث أنهار تعرف باسم الدون الأول في انجلترا، والثاني في اسكتلندا، والثالث في روسيا، ويقع في جنوب غرب روسيا وتنبع منابعه بالقرب من مدينة ==

من المعروف أن منطقة الحدود الشمالية لبيزنطة تشمل ثلاث قطاعات رئيسة (انظر الخريطة نهاية البحث) منها: القطاع القوقازي شرقًا(١)، وغربًا القطاع الذي عُرف باسم" الدانوب" Danube(٢)، ثم القطاع الأوسط والذي يعرف بـ" شبه جزيرة القرم" Crimea.

==

نوفوموسكوفيك في مقاطعة تولا، ويبلغ طوله ١٩٣٠كم، يجري باتجاه الجنوب الشرقي ثم الجنوب الغربي حتى يصب في بحر آزوف وينحنى شرقا حتى يصبح على بعد ١٠٥ كم من نهر الفولجا.

Moore, The Penguin Encyclopedia of Places, p. 230 .

- **نهر الدانوب**: ثانى أطول نهر فى أوربا، ينبع من الغابة السوداء فى المانيا، ويجرى عبر ثمانية بلاد ويصب فى البحر الأسود، طوله ٢٨١٦كم، ويعتبر من أعظم الأنهار.

Moore, The Penguin Encyclopedia of Places, p.216 .

(١) **القطاع القوقازي**: يقع في المنطقة الفاصلة بين البحر الأسود وبحر قزوين، ويرجع اهتمام بيزنطة بالدفاع عن ذلك القطاع إلى عدة أسباب منها: أن الطرف الشمالي من ذلك القطاع مفتوح على السهوب الأوراسية وعلى الطريق الذي تستخدمه القبائل الرعوية لغزو كل من البحر الأسود Black Sea والدانوب Danube؛ ولذا بذلت الدولة البيزنطية جهودًا كبيرة من أجل التحكم في مجموعة الممرات الموجودة في جبال القوقاز لمنع تلك القبائل – الأوراسية- من تهديد الممتلكات البيزنطية الموجودة في البلقان The Balkans وشبه جزيرة القرم ومهاجمتهما

See. Obolensky, D., Byzantium and the Slavs: Collected Studies , London, 1971, pp. 46- 52,

المتولي السيد تميم: البشناق والبيزنطيون، صـ ١٦-١٧.

- **لمزيد من المعلومات عن سياسة بيزنطة فى القوقاز.**

See. Toynbee., Constantine Porphyrogenitus, pp. 394-410.

(٢) **قطاع الدانوب:** يقع في الجبهة الشمالية لبيزنطة على طول الدانوب الأدنى والأوسط، فهو أكثر أهمية من غيره من مناطق الحدود الأخرى، لأنه يتصل مباشرة بالممتلكات البيزنطية في البلقان، ومنها إلى القسطنطينية مباشرة، إذن هو يشكل أكثر الجبهات خطورة، حيث دأبت القبائل المتبربرة على اجتيازه ومهاجمة أراضي الإمبراطورية بل لقد وصلت بعض منها إلى أسوار القسطنطينية مرارًا؛ لذا تحاول الإمبراطورية دائمًا الاتفاق مع بعض القبائل لصد البلغار والسلاف وغيرها من القبائل المتبربرة مقابل منحها إعانة سنوية والإقامة الدائمة على الدانوب.

==

وقطاع شبة جزيرة القرم هو محور هذه الدراسة –بالتحديد مدينة خرسون–، والذي يقع على الساحل الشمالي للبحر الأسود بين بحر آزوف Sea of Azov والبحر الأسود، وهو أرض التناقضات الجغرافية، ثلاث أرباع مساحتها ذات المناخ شبه الجاف، وتنقسم جغرافيًا إلى ثلاث أجزاء غير متساوية المساحة، فالشمال منها عبارة عن أرض رعوية شكلت جزءًا من سهول جنوب روسيا، أما وسط شبه الجزيرة فكان عبارة عن مجموعة من السلاسل الجبلية المتوازية، التي يصل ارتفاعها في بعض المناطق إلى ١٥٠٠م فوق مستوى البحر، وتنمو في بعض أجزائها الأشجار، وتنحدر هذه الجبال بشدة ناحية البحر، حيث الجزء الثالث وهو عبارة عن شريط ساحلي ضيق يتميز بالخصوبة وكثرة المواني الطبيعية، ويتمتع هذا الساحل المحمي بالحواجز الجبلية بمناخ البحر المتوسط– صيف معتدل وشتاء بارد ممطر– [1]، يتضح من ذلك أن التباين بين السهوب شبه

==

Bury, J., A History of the Eastern Roman Empire: From The Fall Of Irene to The Accession Of Basil I,"A.D.802-867", London, 1912, p. 337,

محي الدين محمد محمود قاسم: التقسيم الإسلامي للمعمورة: دراسة في نشأة وتطور الجماعة الدولية في التنظيم الدولي الحديث، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٨٠، المتولي السيد تميم: البشناق والبيزنطيون، ص ١٩.

- **لمزيد من المعلومات عن** السياسة البيزنطية العسكرية لمنطقة الدانوب.

See. Madgearu, A., Byzantine Military Organization on the Danube, 10th-12th Centuries, Boston, 2013.

([1]) Obolensky, the Byzantine Commonwealth, p. 28, Kazhdan, P.A., The Oxford Dictionary of Byzantium, Vol, 1, Oxford, 1991,pp. 547-548,

المتولي السيد تميم: البشناق والبيزنطيون، ص ١٩.

==

القاحلة، والجبال الممتصة للأمطار والساحل الخصب، قد وفر لشبه جزيرة القرم بيئة طبيعية مليئة بالتنوع.

أما بالنسبة إلى محور الدراسة وهي مدينة خرسون Cherson، فتُعد من أشهر المدن التي وجدت على الشريط الساحلي لشبه جزيرة القرم، تقع على الطرف الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة – وعلى بُعد ميلين من مدينة سباستبول Sebastbol الحديثة التي أسسها الروس عام ١٧٨٤م وتقع حاليًا جنوب جمهورية أوكرانيا–، وأسسها التجار اليونانيون قديمًا قبل قرون عديدة، ونتيجة لبُعدها عن عاصمة الأباطرة البيزنطيين فقد أطلقوا عليها "آخر الحدود"؛ لذلك حظيت بنوع من الحكم الذاتي(١).

لا شك أن هذا الموقع قد أعطى لمدينة خرسون العديد من المزايا منها: أنها كانت من بين جميع موانئ القرم الرئيسة الأقرب إلى آسيا الصغرى،

==

- **بحر آزوف**: هو الجزء الممتد من الشمال الشرقي للبحر الأسود ويصل حتي منطقة مضايق سمبريا بسبورس، والطرق التجارية المنطلقة منه حتي الروس شمالا وإلي الصين شرقا، ويقع بحر أزوف في منطقة مهمة بكونها غنية بالملح والنفط.

See. Moore, The Penguin Encyclopedia of Places, p. 69, Kazhdan., The Oxford Dictionary of Byzantium, Vol, 1, p. 241.

(1) Head, C., Justinian II of Byzantium, London, 1972, p. 99, Obolensky., the Byzantine Commonwealth, p. 29,

محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية، ص ١٨١.

- **الميل:** عبارة عن ثلاثة ألاف ذراع والذراع أربع وعشرون إصبع، والإصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلي بعض. انظر.

ابن خرداذبه :"أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه ت. فى حدود عام ٣٠٠هـ/٩١٢م "، المسالك والممالك، ليدن، ١٨٨٩، ص ٤، ياقوت الحموى:" شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى ت. ٦٢٦هـ، معجم البلدان، المجلد الأول، ١٩٣٧، ص ٣٨، مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ط١، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٣٧.

إضافة إلى أنها تقع على الطريق البحري المباشر من نهر الدانوب إلى الساحل الغربي للقوقاز، كما أنها كانت أقل المدن تعرضًا للهجمات من جانب القبائل الأوراسية، لأن التلال تحمي المناطق الداخلية منها، ووفر لها خليج كورانتين Quarantine العميق ميناءً من الطراز الأول(١).

ونتساءل ما الدور الذي لعبته البيئة الجغرافية لمدينة خرسون بين بيزنطة وشعوب أوربا الشرقية في هذه المنطقة؟

لعبت مدينة خرسون العديد من الأدوار السياسية بفضل موقعها، وعلى هذا الأساس يرجع اهتمام بيزنطة بشبه جزيرة القرم بصفة عامة ومدينة خرسون بصفة خاصة، حيث أنها أتاحت لهم مراقبة ما كان يجرى في السهوب الغربية من تطورات سياسية وتحركات قبلية، ونجحت في أن تمنع تلك القبائل من مهاجمة القرم والبلقان، والذي كان يتم عن طريق دخول البرزخ المنخفض الذي يصل شبه الجزيرة باليابسة؛ ولهذا اعتمدت بيزنطة على موقع مدينة خرسون في اتخاذها قاعدة لتنفيذ سياستها الشمالية للسيطرة عليها من خلال مبدأ فرق تسد تجاه شعوب السهوب أو من خلال إثارة الفتنة الداخلية بينهم، أو عن طريق الرشوة، لكي تمنعها من مهاجمة أراضي بيزنطة في البلقان أو القرم (٢).

---

(1) Obolensky., the Byzantine Commonwealth, p. 29,
المتولي السيد تميم: البشناق والبيزنطيون، ص ٢٠.

(2) Obolensky., the Byzantine Commonwealth, pp. 28- 31,
محي الدين محمد محمود قاسم: التقسيم الإسلامي للمعمورة، ص ٧٩، المتولي السيد تميم: البشناق والبيزنطيون، ص ١٩.
- **السهوب الغربية:** تنقسم السهوب الغربية إلى ثلاث مناطق فرعية: الأول منها : الشريط الساحلي الشمالي للبحر الأسود، ويمتد من مصب نهر الدانوب غربًا إلى المنحدرات ==

ولم تستخدم بيزنطة مدينة خرسون لتنفيذ سياستها مع القبائل التي ترغب في النزوح لمهاجمة أراضي الإمبراطورية في القرم والبلقان فحسب، وإنما استخدمها الأباطرة البيزنطيون بوصفها مكانًا لإبعاد المغضوب عليهم سياسيًا سواءً من الأباطرة أو من العامة، وقد أثبت موقع مدينة خرسون أنها مفيدة جدًا لتنفيذ هذا الغرض(النفى)؛ بسبب بُعدها عن عاصمة الإمبراطورية وتَصْوِيْر البيزنطيين لها دائمًا على أنها مكان يسوده الخراب التام (١).

من أشهر الأباطرة الذين تم نفيهم إلى مدينة خرسون الإمبراطور جستنيان الثاني Justinian II " ٦٨٥-٦٩٥م/ ٧٠٥-٧١١م" -بعد

==

الشمالية الغربية لجبال القوقاز، والفرع الثاني: يمتد من جبال الكربات غربًا إلى نهر الفولجا شرقًا، أما الفرع الثالث: فهي مناطق السهوب المشجرة، والتي اندمجت على بُعد حوالي ثلاثمائة ميل شمالًا في الغابة الممتدة شمال شرقًا عبر سهل روسيا الأوروبية.

See. Toynbee., Constantine Porphyrogenitus, p. 428, Obolensky., the Byzantine Commonwealth, p. 28.

- **البلقان:** هي كلمة تركية، وتعني" جبل كثيف الأشجار" وتشكل منطقة البلقان الفجوة الرئيسة بين نهر الدانوب شمالًا وماريكا Marica جنوبًا، وبها مجموعة ضخمة من الجبال من أشهرها جبال الألب.

See. Kazhdan., Dictionary of Byzantium, Vol, 1, p. 248,

محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، جـ٢، بيروت، ١٩٧١، ص ٣٤٤.

للمزيد من المعلومات عن البلقان.

See. Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, pp. 5 ff, Stephenson, P., Byzantium's Balkans Frontier, Cambridge, 2004.

رانيا محمد إبراهيم: كرواتيا في العصور الوسطى من القرن السابع حتى الفتح العثماني، نور حوران، دمشق، ٢٠٢٠، صـ ١٤-٣٢.

(1) Head., Justinian II of Byzantium, p. 99.

جدع أنفه؛ فكان يلقب بـ رينوتيميتوس Rhinotmetus – عقب انتهاء الثورة التي أطاحت به(١).

كما كانت مدينة خرسون المحطة الرئيسة لأى مندوب إمبراطوري يذهب إلى المنطقة الشمالية، وقد ذكر قسطنطين السابع في كتابه إدارة الإمبراطورية أن "المندوب الإمبراطوري عندما يذهب في مهمة رسمية إلى البشناق– مثلًا– يجب عليه عندما يصل إلى خرسون أن يرسل في الحال إلى البشناق ويطلب منهم الرهائن.... وعندما يصل الرهائن يتركون في خرسون تحت الحراسة،....ثم يذهب المندوب إلى البشناق" (٢).

---

(1) Theophanis Chronographia, ex recensione Ioannis Classeni, Vol, 1, Bonnae, 1839, p. 566, Georgius Cedrenus, CSB, Vol, 1, Bonnae, 1838, p. 771, Head., Justinian II of Byzantium, p. 100, Gregory, T.E., A History of Byzantium, 2005, p.177, Foord, E., the Byzantine Empire, London, 1911, p. 122,

البطريرك نقفور: التاريخ المختصر" ٦٠٢-٧٦٩م"، ترجمة وتعليق هاني عبد الهادي البشير، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٨٢.

- **جستنيان الثاني:** ابن الإمبراطور قسطنطين الرابع، تولى العرش خلفًا لوالده دون أية مشكلات وهو في السادسة عشرة من عمره، وأراد أن يسيّر جميع الأمور برأيه، وكان إدراكه ضعيفًا كما كان مفتونًا بغرور أحمق، مما سبّب للدولة مصائب كثيرة، والتي كانت السبب في قيام ثورة ضده عام ٦٩٥م. **للمزيد من المعلومات عن أسباب تلك الثورة.**

See. Ioannis Zonarae: Epitomae Historiarum, Libri XIII- XVIII, edidit, Buttner, Bonnae, 1898, pp. 228-231,

ميخائيل السريانى: تاريخ مار ميخائيل السريانى الكبير بطريرك أنطاكية، الجزء الثانى، حلب، ١٩٩٦، ص ٣٦٩، البطريرك نقفور: التاريخ المختصر ، صـ ٨١-٨٢، آرثر كيستلر: القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، ترجمة أحمد نجيب هاشم، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٣٧، عمر يحي محمد: البيزنطيون والعرب" ٦٤١-٧١١م"، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩، صـ ٢٢٧٠٢٦٦ ، عفاف سيد صبره: تاريخ الدولة البيزنطية، ط١، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٢، صـ ١٩١ وما بعدها.

(2) Constantine Porphyrogenitus; De Adminstrando Imperio, Greek Text Edited, Moravcsik, & others, Washington, 1967, p. 55,

==

وتجدر الاشارة إلى أن موقع مدينة خرسون لم يكن له دور سياسي فحسب، وإنما كانت له أهمية اقتصادية، حيث قام بدور الوسيط التجاري بين بيزنطة وشعوب المنطقة الشمالية، فموقعها على الطريق البحري المباشر من نهر الدانوب إلى الساحل الغربي للقوقاز، جعلها بمثابة سوقًا عالميًا للتجارة ومركزًا مهمًا لتجارة الفراء والسمك مع روسيا، والعسل الشمع والعبيد الذي حصلت عليه من خلال تجارتها مع البشناق، والحرير مع الصين (١)

كما كان لموقع مدينة خرسون أهمية كبيرة من الناحية الدينية، حيث كانت أسقفيتها البوابة الرئيسة لانتشار المسيحية بين القبائل الموجودة في المنطقة الشمالية، وخير دليل على ذلك قيام أسقفية خرسون

==

قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة محمود سعيد عمران، القاهرة، ١٩٨٠، صـ ٥٧-٥٨.

- **البشناق:** دار خلاف بين المؤرخين والباحثين حول الأصول العرقية للبشناق مثلهم مثل غيرهم من الشعوب السلافية الأخرى، فالمصادر العربية ذكرت أنهم عنصر من عناصر الأتراك، وتؤيد الكتابات التركية المصادر العربية الرأى نفسه كما ذكروا أنهم من أول القبائل القريبة من الروم، بينما يعتبرهم البعض أنهم من الشعوب التركية الشمالية المنتمية إلى قبائل الغز، بينما يرى مؤرخون آخرون أن البشناق شعب مجهول الأصل تحرك من منطقة وسط آسيا إلى حوض الفولجا.

- ابن خرداذبه : المسالك والممالك، ص٣١، المتولي السيد تميم: البشناق والبيزنطيون، ص٤٢.

(1) Mierow, C.C., The Gothic History of Jordanes, Priceton, 1915, p. 60,

قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية، ص ٥٧، أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط(٥٠٠-١١٠٠م)، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٦، محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية، ص ١٨١.

بدور كبير في عملية التنصير بين عشائر البشناق Pechenegs [١]، **كما كانت النقطة التي انطلق منها القديس قسطنطين St.Constantine للتبشير بالمسيحية في مملكة الخزر Chazars** [٢]،

([١]) Dvornik, F., The Making of Central and Eastern Europe, London, 1949, pp. 201-202,

المتولي السيد تميم: البشناق والبيزنطيون، ص١٥٣.

- **وتجدر الإشارة** إلى أن الوجود المسيحي في شبه جزيرة القرم بشكل عام وفي مدينة خرسون بشكل خاص يعود إلى القرن الرابع، وذلك عندما أرسل اثنين من أساقفة فلسطين على عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير Constantine The Great إلى الشاطئ الشمالي للبحر الأسود، ذهب أحدهما إلى خرسون والذي يعرف باسم بازيليس Basileas ومهد الطريق للمسيحية، والآخر يعرف بـ إفرايم Ephraim ذهب إلى سيثيا Scythia، وفي بداية القرن الخامس رغب أساقفة خرسون في الاستقلال عن بطريركية القسطنطينية، وليس هذا فحسب بل سعوا إلى إخضاع أسقفيات الشاطئ الشمالي للبحر الأسود تحت سلطتهم، ومع ذلك لم تثمر هذه المساعي بنتائج، حيث أقر مجمع خلقدونية Council Chalcedon – وجود السيد المسيح في طبيعتين إلهية وبشرية دون اندماج أو تغيير أو انقسام- عام ٤٥١م بإخضاع جميع أسقفيات الشاطئ الشمالي للبحر الأسود لبطريركية القسطنطينية.

See. Henry, R., The Seven Ecumenical Councils of the undivided Church, Vol, XIV, New York, 1916, Canon, XVII, p . 280,Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, pp. 6-7, " CF", Latyshev, V., The Lives of the Sainted Bishops of Chersonesus, 1906, Vol, VIII, No, 3.

([2]) Symeon Magister aclogothete; in Theophanes Continuatus, **CSHB** ed Bekker. 1, Bonnae , 1838, 673, Bury, J., A History of the Eastern Roman Empire, pp. 393-394,

دنلوب د. م : تاريخ يهود الخزر، ترجمة، سهيل زكار، الطبعة الثانية ،دار حسان، دمشق، ١٩٩٠، صـ٢٦٢-٢٦٣.

- **الخزر** تُعد من الشعوب التركية الآسيوية التى استقرت حول بحر قزوين وشمال القوقاز، بعد تركهم موطنهم الأصلي في شرق القارة الأوربية، كما تُعد من القبائل التى كان لها احتكاك بالإمبراطورية البيزنطية. **للمزيد من المعلومات عن حياتهم علاقاتهم بالدول المجاورة**. انظر:

==

إضافة إلى ذلك فإنه يرجع الفضل في تعميد الروس إلى أسقفية خرسون أيضًا(١) .

بعد هذا العرض السريع نتساءل منذ متى وبيزنطة تعتمد على مدينة خرسون في تنفيذ تلك السياسة؟ في بداية الأمر كانت بيزنطة تعتمد على مدينة بسبور Bosporus – حاليًا مدينة كرش Kerch–، حيث كانت مركزًا من أهم المراكز الأمامية للحضارة اليونانية؛ لذا اعتمدت عليها الإمبراطورية وجعلتها مركزًا للبعثات الدبلوماسية والتنصيرية التي ترسل إلى المنطقة الشمالية بوصفها محطة نهائية لطريق الحرير القادم من الصين، ولكن موقع المدينة كان معرضًا لهجمات قبائل السهوب الأوراسية، مما أدى إلى صعوبة الاحتفاظ بها خاصة بعد تعرضها لهجمات متتالية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين(٢).

هكذا أجبر موقع خرسون الإمبراطورية البيزنطية في الاعتماد عليها بشكل أساسي لتنفيذ سياستها، فقد سبقت الاشارة إلى أن مدينة خرسون كانت أقل المدن تعرضًا لهجمات القبائل المتبربرة؛ لهذا كانت الإمبراطورية حريصة كل الحرص على الحفاظ على تلك المدينة وأن تظل

==

محمد عبد الشافي المغربي: مملكة الخزر اليهودية وعلاقاتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطي، دار الوفاء، الأسكندرية، ٢٠٠٢، ص ٣٧، دنلوب د. م : تاريخ يهود الخزر، صـ٢٠-٢١.

(1) The Russian Primary Chronicle, trans, Cross, S. H., & Sherbowitz- Wester, O, P., Georgetown, 1953, p. 116, Mango, C., The Oxford History of Byzantium, Oxford, 2002, p. 242.

(2) Obolensky., the Byzantine Commonwealth, p. 29.

تحت سيطرتها مهما كلفها ذلك، ونتيجة لتلك الأهمية اتبعت معها بيزنطة سياسة خاصة.

ثانيًا: سياسة بيزنطة تجاه مدينة خرسون.

اتبعت الإمبراطورية البيزنطية سياسة من نوع خاص مع مدينة خرسون، حيث كانت المدافع الأول عن مصالح الإمبراطورية في تلك المنطقة- وهو ما سوف يتضح من الدراسة-، وفي الوقت نفسه المورد الإقتصادي لها.

ففي عهد الإمبراطور دقلديانوس Diocletianus ثار أهل مدينة بسبور على الإمبراطورية واحتلوا إقليم لازيقا Lazica، وعندما علم الإمبراطور بذلك أرسل على الفور إلى أهالي مدينة خرسون يأمرهم بإعلان الحرب على البسبوريين ونهب أراضيهم وسبي عائلاتهم، وبالفعل استجاب أهل خرسون لطلب الإمبراطور واتجهوا إلى مدينة بسبور، حيث قاموا بنصب الكمائن لهم وعن طريق الخداع استطاعوا إعادة إقليم لازيقا، بعد استسلام أهالي بسبور(١)، ويدل هذا على أن بيزنطة تعتمد على خرسون لحماية مصالحها منذ وقت مبكر، كما يدل على ثقة الإمبراطور فيهم.

---

(١) Constantine Porphyrogenitus; De Adminstrando Imperio, pp. 259- 264, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, Cambridge, 1936, p. 22, Finlay, G., History of the Byzantine and Greek Empires, London, 1854, p. 417,

قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية، صـ ٢٠٥-٢٠٩.

- **الإمبراطور دقلديانوس:** ولد في إقليم دالماشيا Dalmatia بين عامي ٢٤٢م أو ٢٤٥م، وتولى عرش الإمبراطورية عام ٢٨٤م في ظروف كانت الإمبراطورية على وشك الانهيار؛ لذا قام بمجموعة ضخمة من الإصلاحات في مختلف المجالات علـه ينقذ بها انهيار الإمبراطورية.

==

لـذلك منحـت الإمبراطوريــة أهـالي خرسـون الكثيـر مـن العطايـا والمزايـا، لضـمان تقـديم تلـك المسـاعدة باسـتمرار، ويؤيـد ذلـك مـا ذكـره قسطنطين السابع " أنـه بعد الانتهـاء من تلك الحرب وعند عودة القائد الروماني إلى روما- عاصمة الإمبراطوريـة في تلك الفترة- اصطحب معه اثنين من أهالي خرسون للمُثُول بين يدي الإمبراطور الذى أكرمهما بكل وسائل الترفيه والتسلية وشكرهما وأبدى رضاه التام عما قدمه الخرسونيون من مساعدة، كما طلب منهما أن يطلبا ما يريدانه لنفسيهما ولمدينتهما فأبلغا الرسولان الإمبراطور بأن لهما مطلبًا واحدًا يتلخص في إعطاء المدينة حريتها وأن يرفع عنها الجزية، فرحب الإمبراطور بطلبهما ووعدهما بحريـة المدينـة ورفـع الجزيـة عنهـا، وعـادا إلـى بلـدهما بوصـفهما تـابعين مخلصين، بعد أن حملهما الإمبراطور هدايا كثيرة" [1]، يتضح من ذلك أن الإمبراطور منح خرسون حكمًا ذاتيًا لحكم نفسها على أن تظل تابعة للإمبراطورية.

==

Kazhdan., Dictionary of Byzantium, Vol, 1, p. 626,

جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، الأسكندرية، ١٩٨٨، صـ ٣٥-٣٩.

- **إقليم لازيقا:** يُعد من أهم المدن التابعة لبيزنطة على الشاطئ الساحلي للبحر الأسود، تقع شمال القوقاز على المنحنى الجنوبي الشرقي للبحر الأسود، وتمتد إلى الداخل على مسافة قريبة من داريال Darial وسط القوقاز، وقد ساعدها هذا الموقع على القيام بمهمة الدفاع عن منطقة ما وراء القوقاز ضد الهجمات الشمالية، وفي الوقت نفسه كانت غاباتها الكثيفة عائقًا أمام توسع الفرس في منطقة البحر الأسود.

Obolensky., the Byzantine Commonwealth, p. 33.

(1) Constantine Porphyrogenitus; De Adminstrando Imperio, p. 265,

إدارة الإمبراطورية، صـ ٢٠٩- ٢١٠.

أما في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول I "Constantine ٣٢٤-٣٣٧م" فقد ثار ضد الإمبراطور بعض السكيثيين Scythians ، وعلى الفور استعاد الإمبراطور في ذاكرته ما قاله له والده عن وفاء الخرسونيين للإمبراطورية وتحالفهم معهم ضد عدوهم؛ لذا أرسل المبعوثين إلى خرسون ومعهم تعليماته ليذهبوا إلى أرض السكيثيين ومحاربتهم، وبالفعل أطاع الخرسونيون أوامر الإمبراطور وأعدوا العربات الحربية، ونظموا أنفسهم لعبور نهر الدانوب، وحملوا على المتمردين، وهزموهم هزيمة ساحقة(١).

---

(1) Constantine Porphyrogenitus; De Adminstrando Imperio, p. 265,

قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية، صـ ٢١٠- ٢١١.

- **الإمبراطور قسطنطين الأول" الكبير":** هو ابن القيصر قنسطانز، تولى حكم الإمبراطورية بعد تنازل الإمبراطور دقلديانوس عن العرش، مع العلم بأن الوضع لم يستقر له في بداية الأمر بل استمر لمدة أربعة عشر عامًا من الحروب الأهلية حتى استقر له الوضع وأصبح إمبراطورًا بلا منافس، ووضع العديد من الإصلاحات لإنقاذ الإمبراطورية، وقد نقل العاصمة من الغرب إلى الشرق، وإليه تنسب مدينة القسطنطينة.

للمزيد من التفاصيل انظر:

Eusebius, P., The Life the Blessed Emperor Constantine, from 306 To 337 AD, London, 1845.

عفاف صبره: الدولة البيزنطية، صـ ٢١- ٣٣، جوزيف نسيم: الدولة البيزنطية، صـ٤٣-٥٩.

- **السكيثيون:** هم قبائل بدوية من أصول إيرانية، وأهم القبائل الرعوية في منطقة السهوب الأوراسية، وكان أول ظهور لهم في القرن الثالث قبل الميلاد على حساب قبائل الكيمريان Cimmerians شمال البحر الأسود، لكن السرامطة Sarmatian طردوهم؛ لذا استقروا في سكيثيا الصغرى على نهر الدون في وقت مبكر من بداية القرن الثالث، وقد عبَّر بعض المؤرخين عنهم بالآفار والغز والكومان وفي بعض الأوقات أشاروا عليهم بالسلاف.

Rostovtzeff., Greeks South Russia, p. 70 ,Kazhdan., Dictionary of Byzantium, Vol, 3, pp. 1857- 1858,

رانيا محمد إبراهيم: كرواتيا، هامش ١٢، ص ٢٠.

ويخالف ثيوفانس Theophanes – المؤرخ البيزنطي- في حوليته رواية قسطنطين السابع حيث ذكر أنه عندما تمرد السكيثيون قام الإمبراطور عام ٣٢٧م بعبور نهر الدانوب وأخضعهم ثم بنى على النهر جسرًا من الحجر(١)، ويظهر أن رواية قسطنطين السابع هي الأصح بدليل ما منحه الإمبراطور من هدايا وعطايا للخرسونيين.

وأيًّا كان الأمر فعندما علم الإمبراطور بما حققوه من نصر أمر أهل خرسون بالعودة إلى بلادهم ودعا رؤساءهم لزيارة بيزنطة، حيث شكرهم وأبدى سروره وارتياحه لما قدموه، وأشاد بإخلاصهم الحالي والسابق، وصدق على العهود السابقة التي حصل عليها الخرسونيون، وزاد في عطائهم فقدم لهم تمثالًا من الذهب، وعباءة إمبراطورية، ومشبكًا وتاجًا من الذهب، كي تتباهى بهم مدينتهم، كما منحهم أختامًا ذهبية محفور عليها صورته ليختموا بها التقارير والالتماسات التي يرسلونها إليه من وقت لآخر بوصف هذه الأختام وسيلة التعرف على السفراء المعتمدين، كما تعهد الإمبراطور بأن يرسل للخرسونيين سنويًا كمية من الحبال والكتان والزيت والحديد لصناعة الأقواس، كما أنعم عليهم بألف رتبة عسكرية من درجة رماة الأقواس(٢).

---

(1) the Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern history" AD 284- 813", trans, Mango,C., & Scott, R., Oxford, 1997, p. 45.

(2) Constantine Porphyrogenitus; De Adminstrando Imperio, p. 266-267,

قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية، ص ٢١١.

ونتساءل ما كل هذه المنح؟، وهل الإمبراطورية لا تخشى تمردهم ؟ يبدو أن الإمبراطورية قد وضعت في طريقهم العديد من العراقيل، حيث أصدرت أوامرها بأنه إذا حدث وثار مواطنو مدينة خرسون أو شقوا عصا الطاعة على الإمبراطورية أو توقفوا عن رحلاتهم إلى بيزنطة لبيع جلود الحيوانات والشمع والعسل والفراء، فإن كل سفن الخرسونيين الراسية في القسطنطينية سوف تصادر بحمولتها، ويتم اعتقال البحارة والمسافرين ووضعهم في السجن، إضافة إلى ذلك سوف يرسل الإمبراطور ثلاثة مندوبين إلى الساحل الجنوبي للبحر الأسود للاستيلاء على سفن الخرسونيين الراسية هناك ومصادرتها بحمولتها واعتقال من عليها، ومنع أي سفن من التوجه إلى مدينة خرسون وهي محملة بالقمح أو النبيذ أو أي سلع أخرى، كما يتم تحصيل الضرائب من أهل خرسون [١].

وبناءً على ما سبق نفهم أن مدينة خرسون كان لها تجارة واسعة، وأن اتساع الحركة التجارية فيها وبين العديد من الدول شرقًا وغربًا قد أدى إلى ازدهار المدينة وثرائها، ودليل ذلك ما أوضحته الاكتشافات الأثرية من وجود العديد من العملات المعدنية الخاصة بخرسون في العديد من المناطق والأواني الفاخرة ومصانع الفسيفساء، إضافة إلى وجود العديد من الأختام المعدنية، فقد تم العثور على ما يقرب من تسعمائة ختم، وهو ما

(1) Constantine Porphyrogenitus; De Adminstrando Imperio, p. 287,

قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية، صـ ٢٢٤- ٢٢٥.

يعكس جهات اتصال خرسون بمن حولها من المدن(١)، ولا شك أنَّ ازدهار الحركة التجارية بخرسون وثراءها جعلها مطمعًا للعديد من الغزاة، وتعرضها باستمرار لهجمات الغزاة.

ومما يؤكد ذلك ما حدث في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي من هجوم السرامطة Sarmatians عليها، ومع ذلك لم تسقط المدينة في أيديهم بفضل موقعها والتلال التي تحميها من الداخل، ولأنها كانت تمثل أهمية كبيرة لدى السياسة البيزنطية؛ قام خلفاء الإمبراطور قسطنطين الأول بتحصين المدينة ضد أي هجوم محتمل فذوَّدُوها بالأسلحة والحامية والعتاد اللازم (٢)، وهذا إن دل على شَـيْءٍ فإنما يدل على أن أهمية مدينة خرسون بالنسبة للإمبراطورية لم تخف على أحد من الأباطرة.

---

(1) Laiou, A.E., & Morrisson, C., the Byzantine Economy, Cambridge, 2007, p. 41, International Colloquium on Rus'- Byzantine Sigillography, Kyiv, 2013, pp. 23- 24, 53, 62.
(الملتقى الدولي الروسي البيزنطي المنعقد في كيف عام ٢٠١٣)
محمد عثمان عبد الجليل دسوقي: أضواء على دور خرسون التجاري من القرن الخامس إلى القرن العاشر الميلادي، مركز الخدمة للإستشارات البحثية، كلية الآداب جامعة المنوفية، عدد مارس ٢٠١٠، صـ ١- ٢٤، ص٥.

(٢) Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 23, Rostovtzeff, M., Greeks South Russia, p. 217.
- **السرامطة**: هم مجموعات قبلية غير معروفه حلَّت محل السكيثيين في السهوب شمال البحر الأسود، وقد استخدموا اللغة الإيرانية، وكان من بين قبائلهم الآلان Alans، وقد تم إضعافها على يد القوط في القرن الثالث الميلادي؛ لذا يقترح فازيليف أن السرامطة هم القوط، بينما يذكر ثيوفانيس يذكر في حوليته أن الإمبراطور قسطنطين قد هزم السرامطة والقوط خلال حملته ضدهم عام ٣٢٥م، وأيًّا كان الأمر فقد تحركوا من موطنهم الأصلي في آسيا الصغرى في اتجاه الغرب مستمرين في الزحف حتى وصلوا إلى شمال الدانوب.
See. Theophanes : the Chronicle of Theophanes Confessor, p. 44, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, pp. 22- 23,Kazhdan, P.A., Dictionary of Byzantium, Vol, 3, p. 1844,
==

ومع ذلك تتوالى الهجمات على مدينة خرسون، حيث تعرضت في أواخر القرن الرابع الميلادي لهجوم قبائل الهون Huns على الجزء الجنوبي من شبه جزيرة القرم، -وقد بقيت مجموعة صغيرة منها على الجزيرة- وعلى الرغم من خطورة هذا الوضع إلا أنه وجد صمت من المصادر حول ذلك الأمر، وكذلك اختفاء دور الأباطرة في الاهتمام بخرسون بصفة خاصة(١)، ومن المحتمل أن يرجع ذلك إلى انشغال الإمبراطورية بالهجمات المتكررة من الجرمان في تلك الفترة، أو ربما نتيجة الانغماس المستمر في تطورات الأحداث الدينية.

لا شك أن هذا الوضع السياسي الخطير قد أثر بصفة خاصة على تجارة خرسون، وبالتالي على مصالح الإمبراطورية البيزنطية، خاصة بعد أن هزمت قبائل الهون البيض White Huns الفرس واستولت في أواخر القرن الخامس على غالبية المدن التجارية بعد حروبها معها، وقامت بدور

==

رانيا محمد إبراهيم: كرواتيا، هامش١٢، ص ٢٠.

(١) Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 23, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, p. 29,

- **الهون:** هناك اختلافات متعددة حول أصل الهون، هناك من يرجعهم إلى أنهم قبائل مغولية عُرفوا باسم هيسيونج Hsiungnu، وهناك من يرجعهم إلى أنهم شعب أسيوي " تركي الأصل"، قد عبروا نهر الدون في هجرتهم إلى أوربا، التي كانت سببًا في إسقاط الجزء الغربي من الإمبراطورية، وأثناء عبورهم إلى أوربا قضوا على غالبية القبائل الجرمانية.

See. Agathias, The Histories: Corpus Fontiun Historiae Byzantinae, Edid, Beck, H. G., New York, 1975, Book, 5, p. 146, Kazhdan, P.A., Dictionary of Byzantium, Vol, 2, pp. 957- 958,

رانيا محمد إبراهيم: كرواتيا، هامش١٤، ص ٢١.

للمزيد من التفاصيل عن أحوال الإمبراطورية في تلك الفترة . انظر:

- الباز العريني: تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٠، صـ ٣٣- ٤٧.

الوسيط التجاري في نقل الحرير من الصين عبر الطريق الذي يبدأ من التركستان ويتجه عبر بحر الخزر- بحر قزوين- والبحر الأسود إلى شبه جزيرة القرم وكانت القسطنطينية نهاية هذا الطريق، علمًا بأن هذا الطريق قد ظل في حالة اضطراب خلال معظم القرنين الرابع والخامس الميلاديين(١).

وتجدر الإشارة إلى أن الحرير كان من أهم المنتجات التي نقلتها خرسون من الصين إلى بيزنطة، لأن الطريق البحري لتلك التجارة كان يبدأ

---

(1) Procpius, History of the Wars, trans, Dewing, H. B., vol, I, New York, 1914, pp. 13- 33, Theophanes, the Chronicle of Theophanes Confessor, pp. 189- 190,

أرشيبالد: القوي البحرية والتجارية، ص ١٦.

- **والجدير بالذكر:** أن من أشهر المدن التي كانت تمارس تجارة الحرير بنوع خاص، والتي استولى عليها الهون من الفرس هي مدينة الصغد- في سهوب بخاري- قد اشتهروا منذ العصور القديمة بمهاراتهم في مجال التجارة، فكانوا يقومون بدور الوسيط التجاري في نقل الحرير من الصين إلى أسواق البحر الأسود. **انظر.** هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ص ١٦.

- **الهون البيض:** اختلفت الآراء حول أصلهم فالبعض يرى أنهم يعودون إلى أصول تركية، بينما يرى آخرون أنهم فصيل من قبيلة منغولية، وهم إحدى قبائل الهون التى سكنت منطقة القرم وفضلت الاستقرار في آسيا الوسطى مكونا امبراطورية عظيمة تحت اسم الهون البيض، وقد تميزوا عن فرع الهون الذين نزحوا إلى غرب أوربا ببشرتهم البيضاء، والتي لا تتضمن أي تشوهات من التي يقوم بها بني جلدتهم في الغرب، كما أنهم يحترمون القانون ولا يعرفون الوحشية. **للمزيد من المعلومات عن توسعاتهم. انظر:** محمد عثمان عبد الجليل: مملكة الهون البيض وعلاقتها السياسية بالقوي المجاورة خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، كلية الآداب، جامعة بورسعيد، الدد الرابع، ٢٠١٤، صـ ١٢٧- ١٧٠، صـ ١٣٣، ١٣٥- ١٣٦.

من وسط آسيا ويمضي محاذيًا الساحل الشمالي لبحر قزوين، وينتهي إما إلى بحر أزوف أو إلى القرم حيث مدينة خرسون(١) .

ولأن الحرير كان يمثل أهمية كبيرة لدى بيزنطة؛ فقد شعر الإمبراطور زينو Zeno " ٤٧٤- ٤٩١م" عام ٤٨٨م أن من واجب الإمبراطورية أن تستعيد الإشراف على مدينة خرسون، وأن تعمل على ترميم جدران المدينة من أجل سلامتها وزيادة العمران بها(٢)، يوضح هذا أن الإمبراطور زينو

---

(١) هايد. ف : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، تقديم: عز الدين فوده، جـ١، الهيئه المصرية العامه للكتاب، ١٩٨٥، صـ ٢٤-٢٥.

- **الجدير بالذكر:** أن صناعة الحرير ظلت لعدة قرون صناعة مزدهرة فى الصين، غير أن سر هذه الصناعة كان مكتومًا بحرص شديد، لدرجة أن أحدًا من الأجانب لم يستطع أن يتعلم أساليبها، ثم حانت الفرصة التى استطاع فيها بلد آخر أن يستعمل هذا الفرع المهم فى الصناعة، وكان ذلك من نصيب مملكة صغيرة فى وسط آسيا هى مملكة خوتان Khotan "بالصينية هو- تيان بمقاطعة سنكيانج"، وذلك إثر زواج ملكها بأميرة صينية، قيل أنها خانت وطنها واستطاعت أن تفلت من رقابة رجال الجمارك فحملت معها إلى وطنها الجديد دود القز وبيضه وبذور التوت، ونجحت الإمبراطورية البيزنطية في الحصول علي دود الحرير من الصين وذلك علي عهد الإمبراطور جستينيان الأول "٥٢٧-٥٦٥م"، ونجحت في إنتاجه. **لمزيد من التفاصيل:**
هايد. ف : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى، ص ١٥، أحمد حسين حسن: تجارة الحرير والصراع الفارسي البيزنطي في عهد جستنيان" ٥٢٧-٥٦٥م"، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الانسانية، ٢٠١٣، صـ ٢٩-٤٩، وسام عبد العزيز فرج: الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط " من القرن السابع وحتي نهاية القرن الحادي عشر الميلادي"، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الإقتصادي والاجتماعي، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣، صـ ٧٧- ١١٣، ص ٩٤.

(٢) Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 43, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, p. 29,
محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية، ص ١٨٢، أرشيبالد: القوي البحرية والتجارية، ص ١٦.

- **الإمبراطور زينو:** ينسب إلى سكان إيسوريا بآسيا الصغرى واشتهروا بالميل إلى الحرب والمغامرة، وعندما قدم إلى القسطنطينية قام الإمبراطور ليو بتعين زينو قائدًا عامًا لجيوش الشرق وزوجه من ابنته الكبرى، وعندما اصيب ليو بالمرض كان عليه أن يعين ==

نظر بعين الاهتمام إلى خرسون وأدرك أهميتها؛ فعمل على تحصينها والاعتماد عليها منذ تلك الفترة بشكل أساسي، ونتيجة للظروف المضطربة التي كانت تمر بها الإمبراطورية فلم يعمل على محاربة قبائل الهون في تلك المنطقة، من أجل عودة المدن المهمة التي استولوا عليها مثل مدينة بسبور، التي كانت تعادل خرسون في أهميتها لبيزنطة(١).

ولكي تحمي الإمبراطورية مصالحها الخاصة في تلك الأراضي الحدودية البعيدة؛ قرر الإمبراطور جستين الأول Justin I " ٥١٨-

==

خليفة له فخاف أن يعين زينو لكراهية الناس له، فعين حفيد ابن ابنه زينو، ولكنه توفي بعد موت ليو فأصبح زينو إمبراطورًا منفردًا.

See. Theophanes : the Chronicle of Theophanes Confessor, p. 187, عفاف صبره: الدولة البيزنطية، صـ ٥٩- ٦٠ .

- **وقد أرجع فازيليف:** إلى أن سبب ترميم جدران مدينة خرسون يرجع إلى الزلزال العنيف الذي حدث عام ٤٨٠م واستمر حوالي أربعين يومًا، وأصيبت القسطنطينية وغيرها من المدن بأضرار بالغة الخطورة، وقد اعتنى الإمبراطور بكل المدن بشكل عام وبمدينة خرسون بشكل خاص، وذلك طبقًا لما ذكرته المصادر البيزنطية. **لمزيد التفاصيل راجع.**

See. Malalas,J., The Chronicle of John Malalas, trans, Scott, R., & Jeffreys,M., & Jeffreys , E., Melbourne, 1986, p. 213, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, pp. 44- 48.

(١) لم يكن وضع الإمبراطورية داخليًا وخارجيًا في تلك الفترة مستقر، ففي الداخل كان الخلاف الديني على أشده بين كنيسة الأسكندرية والقسطنطينية، وخارجيًا الكارثة التي ألمت بالإمبراطورية شرقًا وغربًا ألا وهي سقوط الجزء الغربي من الإمبراطورية على يد القائد الجرماني أدواكر. **للمزيد من المعلومات.**

السيد الباز العريني: مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١، محمود محمد الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥، عفاف صبره: الدولة البيزنطية، صـ ٦٠-٦٢، صلاح الأمين عبدالله محمد: البرابرة الجرمان ودورهم في سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب ٤٧٦م، بحث منشور في مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، كلية الآداب، جامعة بنغازي، العدد الثالث، ٢٠١٤، صـ ١٤٨- ١٧٢.

٥٢٧م" القيام بمحاولة لإعادة مدينة بسبور تحت سيطرتها، فأرسل ابن أخي الإمبراطور أنستاسيوس Anastasius "٤٩١-٥١٨م" ومعه مبلغ كبير من المال لتقديمه رشوه للهون، ولكنه فشل في تلك المهمة(١).

وعلى الرغم من فشل تلك المحاولة فقد نجح الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I " ٥٢٧-٥٦٥م" عام ٥٢٨م في إقناع جيرود Girod زعيم الهون بالذهاب إلى القسطنطينية، حيث تم تعميده، وعاد محملًا بالهدايا بعد أن تعهد بالدفاع عن مصالح الإمبراطورية في جنوب شبه جزيرة القرم(٢)، ومع ذلك لم يستمر الوضع طويلًا إذ قامت ثورة ضد جيرود

---

(١) Procpius, History of the Wars, vol, 1, p. 97, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 70.

- **أنستاسيوس الأول:** تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية بعد حكم الإمبراطور زينو، وقد عرف باسم Dikoros تزوج من زوجة الإمبراطور زينو، واشتهر بكفاءته الإدارية وإصلاحاته المالية، واول ما واجهه من المشاكل موقف الإيسوريين الذين أضحى لهم من السيطرة فى زمن زينو ما أثار سكان العاصمة، فاتخذ اجراءات ضدهم خاصة بعدما لجأوا إلى التآمر عليه، فطردهم من الوظائف الرئيسة وصادر ممتلكاتهم وأخرجهم من القسطنطينية، وملك لمدة سبعة وعشرين عاما وثلاثة أشهر.

See. Malalas,J., The Chronicle, p. 220, Vasiliev, A.A., Byzantine Empire, vol, I, p. 109,

الباز العريني: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٥١.

- **جستين الأول:** من الشخصيات التي جاءت إلى العاصمة أملاً في الحصول على مصدر الرزق حوالى عام ٤٧٠م، وبالفعل تدرج جستين في المناصب العسكرية ليصير قائد الحرس الإمبراطوري، وعند وفاة الإمبراطور أناستاسيوس الأول، تخطى جستين الأول منافسيه وانتُخب خلفًا له، على الرغم من عمره المتقدم البالغ سبعين عامًا.

See. Theophanes : the Chronicle of Theophanes, p. 249, Kazhdan., Oxford Dictionary, Vol, 2, p. 1082,

أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية، ص ٣٥، جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٦٩.

(٢) Malalas,J., The Chronicle, p. 250, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, p. 60,

==

أطاحت بحياته وحياة الحامية البيزنطية هناك، مما دفع الإمبراطور جستنيان إلى التدخل واستخدام القوة، من أجل الانتقام لمقتل الحامية، والمحافظة على المصالح الاقتصادية في تلك المنطقة، ومن المعروف أن الصراع الداخلي للهون قد نتج عنه نجاح الإمبراطور في ضم مدينة بسبور مرة ثانية للإمبراطورية(١).

وهناك محاولة أخرى من الإمبراطور جستنيان للمحافظة على مصالح الإمبراطورية في شبة جزيرة القرم بصفة عامة وخرسون بصفة خاصة، والتي تمثلت في قيام علاقات ودية مع قوط القرم، الذين يتمركزون حول مدينة دوري Dory ، وبنى هناك أسوارًا طويلة في بعض النقاط التي كانت معرضة للغزو، كما نجح الإمبراطور في إقناع ملكهم لدخول المسيحية، وبناءً على ذلك أصبحوا أصدقاء مقربين لبيزنطة، وأدوا دورًا مهمًا في حراسة الحدود الشمالية للممتلكات البيزنطية في شمال شبه

==

محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية، ص ١٨٢.

- **الإمبراطور جستنيان**: يُعَدُّ من أبرز الشخصيات التي تولت عرش الإمبراطورية خلفًا لخاله جستين الأول، وتنحدر أسرة جستنيان من أصول ريفية، فقد كان خاله فلاحًا من إقليم الليريا، جاء إلى القسطنطينية في عهد الإمبراطور ليو، وبفضل خاله تعلم وتولى أهم المناصب العسكرية، لذا خلفه في حكم الإمبراطورية.

See. Theophanes : the Chronicle of Theophanes, p. 266, Kazhdan, P., The Oxford Dictionary, vol, 2, pp. 1083- 1084

عفاف سيد صبرة: تاريخ الدولة البيزنطية، ص، ٧٣، جوزيف نسيم: الدولة البيزنطية، ص ٦٩.

(١) Malalas,J., The Chronicle, p. 250, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, pp. 70- 71, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, p. 30.

محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية، ص ١٨٢.

جزيرة القرم لمدة أربعة قرون(١)، بهذا تكون سياسة الإمبراطور جستنيان قد حققت مصالح الإمبراطورية في جنوب شبه جزيرة القرم مع الهون، وفي الشمال مع قوط القرم، من أجل المحافظة على خرسون.

ولضمان أمن وسلامة التجارة في مدينة خرسون قام جستنيان بترميم التحصينات السابقة لأسوارها، وبناء تحصينات جديدة، حيث قام ببناء قلعتين جديدتين على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة لصد الهجمات القادمة من الشمال، وزين شوارع المدينة بالمباني المختلفة، وزودها بأسلحة قاذفة- منجنيق-، إضافة إلى إعفائها من الضرائب العادية المفروضة على باقي أقاليم الإمبراطورية، واكتفى بإلزامهم بالمساهمة في الدفاع عن الأسطول التجاري البيزنطي الذي يعمل في البحر الأسود(٢)، يُلاحظ من هذا أن الإمبراطور جستنيان بذل قصارى جهده من أجل

---

(١) Procpius, the Buildings, trans, Dewing, H. B., London, 1971, p. 217, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, p. 30.

محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية، ص ١٨٣.

- **قوط القرم:** إحدى فرعي قبيلة القوط الجرمانية التي هاجرت في مجموعات صغيرة إلى شواطئ البحر الأسود الشمالية، عاشوا في شبه جزيرة القرم منذ العصور القديمة، ولم يهاجروا مع القوط الشرقيين الذين ذهبوا إلى ايطاليا أو القوط الغربيين الذين ذهبوا إلى أسبانيا، لذا يعرف هؤلاء باسم قوط القرم، ووصل عددهم إلى ثلاثة ألاف، وهم جنود ممتازون وماهرون في الزراعة.

See. Procpius, the Buildings, p. 217.

See. Vasiliev., The Goths in the Crimea. **للمزيد من التفاصيل عن قوط القرم.**

(٢) Procpius, the Buildings, p. 215, Agathias, The Histories, p. 157,Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 71, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, p. 30.

محي الدين محمد محمود قاسم: التقسيم الإسلامي للمعمورة، ص ٨٠، محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية، صـ ١٨٢- ١٨٣.

المحافظة على مدينة خرسون، سواءً بعقد معاهدات ودية مع القبائل المجاورة أم بتحصين خرسون نفسها.

وعلى الرغم من كل هذه التحصينات، فما زالت مدينة خرسون تتعرض لهجمات، ويوضح ذلك ما حدث عام ٥٥٨م عندما قام زابيرجان Zabergan رئيس قبيلة الكوتريجور Kotrigurs- إحدى قبائل الهون- بالهجوم عليها عن طريق استخدام قوارب صغيرة يسع كل قارب أربعة من الرجال فحسب، من أجل سلبها ونهبها، وكالعادة أسرع الإمبراطور جستنيان على الفور بإرسال أمهر قواده لإنقاذ المدينة من ذلك الخطر، وبالفعل نجحوا في التصدي لذلك الخطر(١)، ويبدو أن ثراء المدينة جعلها مطمعًا للغزاة باستمرار، وفي الوقت نفسه تقدر الإمبراطورية أهميتها؛ فكانت لا تتقاعس في الدفاع عنها الأمر الذي كلفها الكثير، بسبب بُعدها عن عاصمة الإمبراطورية.

ولكن ما دامت المدينة مطمعًا للغزاة، لماذا لم تضع الإمبراطورية قوة عسكرية ثابتة في المدينة للدفاع عنها وحماية مصالحها؟

ربما يرجع ذلك إلى: ١- بُعد المسافة بينها وبين العاصمة البيزنطية. ٢- خشية من أن تصبح هذه التحصينات هباء، أو يُقضى على الحامية البيزنطية بسبب كثرة تعرض المنطقة لمطامع الغزاة؛ لذلك لجأ الأباطرة في غالب الأحوال إلى الاعتماد على أهالي المنطقة نفسها، مقابل اجزال العطايا والهدايا لهم وتخفيف الضرائب.

---

(١) Agathias, The Histories, pp. 157- 158, Malalas,J., The Chronicle, p. 297,

محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية، صـ١٨٥-١٨٦.

ولم تتوقف محاولات الإمبراطورية في الحفاظ والاهتمام بمدينة خرسون ففي عهد الإمبراطور جستين الثاني Justin II "٥٦٥- ٥٧٨م" تم تشييد سور ضخم به جزء من لوح رخامي أبيض- تم اكتشافه عام ١٩٠٥م- في خرسون للدفاع عنها، لأنه في ختام عهد الإمبراطور جستنيان ظهر خطر جديد وهم الأفار Avars الذين تحركوا غربًا من القوقاز والمناطق الواقعة بين نهر الدون والفولجا، حتى وصلوا إلى مدينة بسبور(١)، لكن لصمت المصادر عن هذا الحدث مما يبدو أنهم لم يدخلوا شبه جزيرة القرم، وربما تم طردهم فاتجهوا إلى شبه جزيرة البلقان، بدليل تهديدهم للقسطنطينية عام ٦٢٦م.

---

(١) Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 73, Mogarichev, M., A New Source on the Problem of the Early Medieval Jewish Diaspora in Crimea, In Journal of Medieval and Islamic History, Vol. VI, Ukraine 2009, pp. 1-12, p. 7.

- **جستين الثانى:** ابن أخو جستنيان الذى يدعى جيرمانوس تزوج من صوفيا ابنة شقيقة الامبراطورة ثيودورا، حيث تولى السلطة بعد وفاة عمه، وقد تدرج فى المناصب السياسية وفى عضوية مجلس الشيوخ، حتى تقلد المنصب الامبراطورى مباشرة عام ٥٦٥م.

See. Theophanes : the Chronicle of Theophanes, p. 355,

عفاف صبره: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٣٣.

- **الأفار:** لم يتفق المؤرخون في تحديد أصلهم فقيل أنهم من عنصر الترك، والأرجح من عنصر التركي الهوني، وأنهم من الشعوب التي عبرت وسكنت جانب نهر الدانوب. انظر:

قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية، ص ١٠٥.

- لمزيد من التفاصيل عن هجوم الأفار على القسطنطينية عام ٦٢٦م انظر.

See. Stratos, A.N., Byzantium in the Seventh Century" 602- 634", Vol, 1, Amsterdam, 1968,

ليلى عبدالجواد اسماعيل: الدولة البيزنطية فى عصر هرقل، ص ٢٩٨ وما بعدها، إسمت غنيم: الأفار، الأسكندرية، ١٩٩١.

من المعلوم أن الدافع وراء اهتمام أباطرة بيزنطة بمدينة خرسون نابع من المحافظة على حدودها السياسية ومصالحها الاقتصادية؛ لذا نجدها تدخل في مفاوضات وعلاقات سياسية واقتصادية مع بعض القبائل التركية، التي ظهرت في تلك المرحلة، والتي كان لها صلات مباشرة مع الصين عبر طريق التركستان، كما كانت تتفق مع الدولة البيزنطية في رغبتها في إبعاد مرور التجارة عن بلاد فارس، حيث كانت بمثابة ركن غائر بين الصين والفرس.

وعلى هذا الأساس جاءت سفارة من قبيلة التو كيو Tok Kiou التركية إلى بلاط الإمبراطور جستين الثاني عام ٥٦٨م تعرض عليه عقد معاهدة صداقة، إضافة إلى مهمة توصيل الحرير إلى بيزنطة مباشرة دون المرور بالآراضي الفارسية، ولا شك أن ذلك كان فرصة للتخلص من الشروط القاسية التي يفرضها الفرس- الوسطاء الحتميون- على تجارة الحرير[١]، علمًا بأن بيزنطة قد حصلت على بيض دود القز في عهد جستنيان، ولكن يبدو أنه لم ينتج قدرًا كافيًا من الحرير لسد المطالب، فكان لزامًا عليها أن تستورد من الصين الجزء الأكبر من المادة الأولية، وأحسن أصناف الحرير.

---

(١) Menander; the History of Menander the Guardsman, trans, Blockley, R. C., Britain, 1985, p. 173, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, pp. 166- 167,

أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية، ص ٥٢، هايد: التجارة في الشرق الأدنى، ص ٢٥.

- **قبيلة التو كيو:** ظهرت هذه القبيلة منذ النصف الثاني من القرن السادس على عهد الإمبراطور جستنيان الأول ، وبلغت من القوة والسلطان في وسط آسيا، واستمرت في التوسع حتى وصلت إلى الحدود الغربية والشمالية للصين. انظر. هايد: التجارة في الشرق الأدنى، ص ٢٦.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يكن الحرير وحده الذي ترغب بيزنطة في الحصول عليه عن طريق مدينة خرسون، بل كان الملح أيضًا من أهم المنتجات التي تقوم بتصديرها سواءً إلى بيزنطة أم غيرها، حيث كانت المسافة بين مصب نهر الدنيبر وخرسون ثلاثمائة ميل وبينهما توجد العديد من الموانئ والمستنقعات والملاحات التي يُسْتَخْرَجُ منها الملح، ذلك طبقًا لما ذكره قسطنطين السابع(١)، موضحًا بهذا المنتجات التي كانت تصل إلى بيزنطة عن طريق خرسون، وعلى هذا الأساس تكون خرسون قد أدت دورًا مهمًا في تلك الناحية، حيث أمدت بيزنطة بكل ما تحتاجه من المنتجات الشمالية، وفي الوقت نفسه باعت للشعوب الشمالية المنتجات البيزنطية.

وبالعودة إلى محاولات بيزنطة للاهتمام بمدينة خرسون، ففي عهد الإمبراطور تيبيريوس الثاني Tiberius II " ٥٧٨-٥٨٢م" قام بإصدار مرسوم الإعفاء لمدينة خرسون من الواجب البحري – الخاص ببناء السفن البحرية- المفروض عليها سابقًا(٢).

---

(1) Constantine Porphyrogenitus; De Adminstrando Imperio, p. 187, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, p. 27,
قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٩.
- **وتجدر الإشارة إلى أن مدينة** خرسون قامت بنقل منتجات الشرق إلى المنطقة الشمالية، حيث كانت بضائع الشرق هي أكثر ما يطلبه البرابرة ويقدرون قيمتها من حُلي وتوابل وأقمشة الشرق الأدنى الرقيقة ومنتجات صناعية وزراعية، وعن طريق أهل خرسون كان برابرة الشمال يشترون هذه السلع الثمينة. **انظر.** هايد. ف : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى، صـ ٢٤-٢٥، أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية، ص١٦.

(2) Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 73,
أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية، ص ٤٩.
==

وعلى الرغم من التحالف البيزنطي التركي السابق إلا أنه لم يستمر سوى ثماني سنوات- بسبب تحالف بيزنطة مع الأفار-، ولم يحقق الهدف منه، ليس هذا فحسب بل قامت قبيلة التو كيو عام ٥٧٦م بالتحرك ناحية الغرب والهجوم والإستيلاء على مدينة بسبور، بل إنها أصبحت في عام ٥٨١م على مرأى من مدينة خرسون، وقيامهم بالهجوم عليها، مما دفع الإمبراطور تيبيريوس إلى تدعيم ميناء خرسون لمواجهة ضغط تلك القبائل التركية، إضافة إلى عقد معاهدة صداقة بينهما مرة ثانية عام ٥٩٠م(١)، ويبدو أن وجودهم في تلك المنطقة كان يشكل خطرًا على المصالح البيزنطية، فكانت أفضل الطرق مهادنتهم.

وبعد هل أثرت تلك الهجمات المتكررة على الوضع في خرسون وبالتحديد على الاقتصاد؟

بالفعل يبدو أن اقتصاد وتجارة خرسون قد تأثر بتلك الأوضاع والهجمات المتكررة عليها، والدليل على سوء الحالة الاقتصادية في خرسون ما جاء في رسائل البابا مارتن الأول Pope Martin I" ٦٤٩-٦٥٥م" في

==

- **تيبريوس الثاني:** خلف الإمبراطور جستين الثاني في حكم الإمبراطورية، ويُعد من أبرز القادة العسكريين الذين تولوا عرش الإمبراطورية؛ لدرجة أنه تولى إمبراطورًا مشاركًا عام ٥٧٥م، ولم يمتد به العمر لتحقيق مشاريعه. **انظر.**

See. Theophanes : the Chronicle of Theophanes Confessor, pp. 369-370,

جوزيف نسيم: الدولة البيزنطية، ص ٩٢.

(1) Menander; the History of Menander, pp. 173- 179, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 74, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, pp. 167- 168,

أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية، ص ٥٣.

منتصف القرن السابع الميلادي، حيث أرسل رسالتين إلى أصدقائه يصف لهم سوء الأحوال المعيشية بالمدينة، ويطلب منهم إرسال الطعام له وخاصة الخبز فهو يسمع عنه ولا يراه(١)، فحرمان ومعاناة البابا تدل على أن مختلف أنواع الاقتصاد قد تأثر من زراعةٍ وصناعةٍ وتجارة.

ولكن ما سبب وجود البابا في مدنية خرسون، هل لتفقد أحوال المجتمع المسيحي، أم هناك سبب آخر؟ للوقوف على حقيقة وجود البابا في خرسون تذكر الروايات أنه في عهد الإمبراطور قسطنطين الرابع تم استخدام خرسون لنفي البابوات، حيث قد جاء على رأسهم البابا مارتن الأول الذي تم نفيه عام ٦٥٤م إلى مدينة خرسون، وبقى بها حتى توفى ودفن في أرض القرم(٢)، يُلاحظ هنا أن استخدامها لنفي المغضوب عليهم

---

(١) Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 77, Head, C., Justinian II of Byzantium, p. 99, Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth, p. 170, Vasiliev, A.A., History of the Byzantine, p. 224, Hodgkin, T., Italy and her Invaders" 600- 644", Vol, VI, Oxford, 1895, pp. 267-268.

محمد عثمان: دور خرسون التجاري، ص٦ .

(2) Pope Martin, Epistolae, ed, Migne, J.P., Patrologiae Latian, Vol, 86, col, 202-203, Platina, B., The Lives of the Popes: from the time of our Saviour Jesus Christ, London,1898, pp. 155, Head, C., Justinian II of Byzantium, p. 99, Foord, E., the Byzantine Empire, p. 130, Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 224, Hodgkin, T., Italy and her Invaders, pp. 267- 268.

- **البابا مارتن الأول:** بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما، تولى المنصب خلفًا للبابا ثيودوروس Theodorus ، وقد جاء إلى القسطنطينية بعد تولي المنصب مباشرة لتصحيح بعد الأخطاء العقدية، ولكنه أثار غضب الإمبراطور قسطنطين الرابع، مما أدى إلى إصدار الأوامر بالقبض عليه ونفيه إلى مدينة خرسون بعد تعرضه للإهانات.

==

سياسيًا لم يشمل الأباطرة والعامة فحسب، بل شمل أيضًا رجال الدين، كما يدل نفي البابا إلى خرسون على أن تلك المدينة ما زالت تحت سيطرة بيزنطة.

وتجدر الإشارة إلى أنه بعد انهيار قبيلة التو كيو توالت على المنطقة عدة قبائل لم تستطع أي منها أن تصبح لها السيادة على شعوبها، حتى ظهر الخزر في منتصف القرن السابع الميلادي وأصبحوا هم سادة السهوب الغربية، لدرجة أنهم رغبوا في مد نفوذهم إلى مناطق تتبع النفوذ البيزنطي في القرم.

ويدل ذلك على ما حدث على عهد الإمبراطور جستنيان الثاني من المشاكل والمنازعات التي قامت بين الخزر والبيزنطيين حول مدينة خرسون والقرم عامي ٦٨٦م و ٦٨٧م، والتي انتهت بانشاء نوع من الحكم الثنائى لذلك الميناء المهم، ومع ذلك أصرت بيزنطة على أن تتبع سياسة تقضى بتوجيه التجارة كلها نحو ذلك الميناء الواقع تحت اشرافها

==

See. Platina, B., The Lives of the Popes, pp. 153- 55, Head, C., Justinian II of Byzantium, p. 99, Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 224.

- **الإمبراطور قسطنطين الرابع:** تولى عرش الإمبراطورية عام " ٦٦٨- ٦٨٥م"، خلفًا لوالده لإمبراطور قنسطانز الثاني، وهو الابن الاكبر له، وعين امبراطورًا مشاركًا له في الحكم عام ٦٥٤. Theophanes : the Chronicle of Theophanes Confessor, pp. 491-492.

- **تجدر الإشارة:** إلى أن استخدام مدينة خرسون لنفي رجال الدين قد ظهر منذ النصف الثاني من القرن الخامس، حيث تم نفي ثيموثي Timothy أحد رجال الدين المشهورين إلى خرسون، وعاد إلى القسطنطينية بعد ثمانية عشر عامًا.

See. Evagrius, The Ecclesiastical History of Evagrius Scholasticus, trans, Whitby, M., Liverpool, 2000, Book, 3, No. 8, p. 133.

الدقيق[١]، ويبدو أن هذا بداية هيمنة الخزر على الأوضاع في شبه جزيرة القرم بأكملها، فكان القرن السابع بالنسبة لهم فترة القوة المتزايدة وتشكيل دولتهم.

ومع ذلك وجد صمت من المصادر عن الحركة التجارية بين خرسون والدولة البيزنطية، فبيزنطة لم تكن في وضع أفضل من خرسون وخاصة على عهد الإمبراطور جستنيان الثاني Justinian II الذي تم نفيه هو الآخر إلى مدينة خرسون عام ٦٩٥م، وبعد عشر سنوات من النفي رغب في العودة إلى بيزنطة لاستعادة عرشه؛ لذا شعر سكان المدينة أنهم قد يتعرضون للنقمة بسببه فخططوا لقتله، أو تسليمه أسيرًا إلى الإمبراطور البيزنطي تيبريوس الثالث Tiberius III " ٦٩٨- ٧٠٥م"، وعندما علم جستنيان بذلك فر هاربًا إلى حصن دوروس Doros ببلاد القوط Goths- قبائل جرمانية مجاورة لخرسون-، وهناك طلب من حاكم الخزر أن يسمح له بزيارته، وبالفعل استقبله أفضل استقبال حتى أنه زوجه أخته، وتعهد له بتقديم المساعدة، وعندما علم الإمبراطور البيزنطي بتطورات هذه الأحداث أرسل إلى حاكم الخزر وطلب منه تسليم جستنيان الثاني حيًا أو ميتًا، مقابل منحه هدايا قيمة ومبالغ ضخمة من الأموال[٢].

---

(١) Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 84,
المتولي تميم: البشناق والبيزنطيون، ص٢٦، أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية، ص١٣٨.

(٢)Theophanis Chronographia, p. 568, Georgius Cedrenus, p. 779, Head, C., Justinian II of Byzantium, pp. 102-105, Gregory, T.E., A History of Byzantium, p.177, Treadgold, W., A history of the ==

الأمر الذي جعل جستنيان يهرب للمرة الثانية وذلك بعد أن علم من زوجته بتطورات الوضع، وفي تلك المرة اتجه إلى البلغار طالبًا المساعدة، مقابل منحهم الكثير من الهدايا وتزويج ابنته إلى حاكم البلغار، وبالفعل نجح جستنيان في العودة إلى بيزنطة ودخول القصر الإمبراطوري بفضل مساعدة البلغار، وبعدها تخلص من كل أعدائه (١).

==

Byzantine State, pp. 137- 138, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 81,

البطريرك نقفور: التاريخ المختصر، صـ ٨٣- ٨٤، ميخائيل السريانى: تاريخه، ص ٣٧٤، آرثر كيستلر: القبيلة الثالثة عشر، ص ٣٨، عمر يحي محمد: البيزنطيون والعرب، صـ ٢٧٥- ٥٧٦، دنلوب د. م : تاريخ يهود الخزر، صـ ٢٣٣- ٢٣٤.

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث.

Theophanis Chronographia, pp. 568- 575, Georgius Cedrenus, pp. 779- 782, S. Nicephori Patriarchae Constantinopolitani; De rebus post Mauricium gestis, PG, 100, pp. 935-946, Head, C., Justinian II of Byzantium, pp. 106-107, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 81, James, D., the Numismatic Iconography of Justinian II, New York, 1959, pp. 13-16, Stratos, A. N., Byzantium in the Seventh Century, Vol, 5, Amsterdam, 1980, pp. 103- 129.

البطريرك نقفور: التاريخ المختصر، صـ ٨٣- ٨٤، ميخائيل السريانى: تاريخه، صـ ٣٧٤- ٣٧٥، عمر يحي محمد: البيزنطيون والعرب، صـ ٢٧٧- ٢٨٢، دنلوب د. م : تاريخ يهود الخزر، ص ٢٣٥.

- **البلغار:** إختلفت أرآء الباحثين والمؤرخين حول تحديد الأصول الأولى للبلغار فيرى البعض أنهم من شعوب الشمال كالـ **Cotragi** والخزر والكومان، تركوا مواطنهم وهاموا علي وجوههم في أوروبا واستقروا في بلادهم، وأطلقوا عليها إسم بلغاريا نسبة إلي زعيمهم المدعو بلغار، في حين يري البعض الآخر أنهم عناصر مختلطة بالدم التركي أو تركية تتارية، وهم بذلك ينحدرون من الأصل التركي وليسوا تركا خلصاً، استقروا في المنطقة الواقعة بين بحر آزوف **Azov** ومجري نهر الدون **Don** أي عند الطرف الشرقي لدولة الآفار.

See. Leonis Diaconi, Caloensis Historiae, Tomus, III, Bonnae, 1828, p. 103, Dvornik, Les slaves, Byzance et Rome au Ix siecle, Paris, 1926, p. 9, Beddoe John, on the Bulgarians, in the Journal of

==

والذي يهمنا من كل هذه الأحداث هو انتقام جستنيان لأهل خرسون الذين فكروا في التخلص منه عندما كان في المنفى، لأنه لم ينس المحن التي سببتها وشاية الخرسونيين للإمبراطور السابق تيبريوس الثالث ؛ فأصدر أوامره في عام ٧١٠م بتجهيز أسطولٍ ضخمٍ به أنواع مختلفة من السفن وزوده بمائة ألف مقاتل، وأمرهم بقتل جميع سكان خرسون، وتعين القائد إلياس Elias نائبا عليها، وبالفعل استجاب قائد الحملة لأوامر جستنيان فقتل عددًا كبيرًا من سكان خرسون إما بحرقهم أحياء أو بإغراقهم وتعذيبهم دون رحمة، ولم يبق إلا عدد قليل من الشبان لإرسالهم مع زوجاتهم كعبيد إلى القسطنطينية، مع بعض الأطفال، كما استطاع قائد الحملة القبض على تودون Tudun نائب حاكم الخزر في خرسون(١).

==

the Anthropological institute of Great Britan and Ireland, Vol. 8, 1879, pp. 232-239, p. 234.

- ليلي عبد الجواد إسماعيل: صفحة من تاريخ الإسلام في روسيا. الإسلام والمسلمون في حوض الفولجا "جذورة التاريخية وواقعه المعاصر"، دالر الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٤٧، زبيدة محمد عطا: الترك في العصور الوسطي "بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيين"، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٦، وسام عبد العزيز فرج: قراءة التاريخ الباكر "البوسنة – الصرب – كرواتيا"، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٤، ص ٣٦.

(1) Ioannis Zonarae: Epitomae Historiarum, p. 240, Georgius Cedrenus, p. 782, Theophanes : the Chronicle of Theophanes Confessor, p. 527, S. Nicephori Patriarchae Constantinopolitani, PG, 100, p. 946, Head, C., Justinian II of Byzantium, pp. 142, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 82,

البطريرك نقفور: التاريخ المختصر، صـ ٨٦- ٨٧، عمر يحي محمد: البيزنطيون والعرب، ص ٢٩٤، دنلوب د. م : تاريخ يهود الخزر، ص ٢٣٦.

وبناءً على ما سبق تذكر المؤرخة Head أن حملة جستنيان لم تكن للانتقام من خرسون، فلو كان يريد الانتقام لما انتظر أكثر من خمس سنوات منذ أن عاد إلى العرش عام ٧٠٥م حتى عام ٧١٠م؛ لذا فالسبب الأرجح لتلك الحملة هو الانتقام من حاكم الخزر الذي استولى على المدينة مستغلًا ظروف الإمبراطورية، وعلى الرغم من أنه يُعد صهره لكنه لا يثق به [١].

وأيًّا كان السبب فيبدو أن الإمبراطور كان يقدر مدى أهمية خرسون بالنسبة لبيزنطة، وخاصة بعد أن مكث فيها عشر سنوات لقضاء عقوبة النفي، وهناك أدرك مدى أطماع الخزر ورغبتها في السيطرة على طريق الحرير، وعلى المدن التجارية المهمة .

وبالعودة إلى حملة جستنيان على خرسون فإنه لم يرض بما حققه القائد العسكري وغضب من ترك القائد الأطفال، وأمره بالعودة على وجه السرعة، ولكنه تعرض لعاصفة شديدة أدت إلى غرق عدد كبير من السفن وغرق حوالي ثلاث وسبعين نفسًا، ومع ذلك أرسل حملة أخرى إلى خرسون وأمرهم بقتل كل من هو مؤهل لحمل السلاح، وهدم جميع المباني وجعل المدينة متساوية بالأرض[٢]، وهذه الروح العدائية واستخدام العنف ومسح

---

(1) Justinian II of Byzantium, pp. 143,
عمر يحي محمد: البيزنطيون والعرب، ص ٢٩٥.

(2) Ioannis Zonarae: Epitomae Historiarum, pp. 240- 241, Georgius Cedrenus, p. 782, Theophanes : the Chronicle of Theophanes Confessor, p. 527, S. Nicephori Patriarchae Constantinopolitani, PG, 100, p. 946, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 82,
دنلوب د. م : تاريخ يهود الخزر، صـ ٢٣٧- ٢٣٨.

المدينة من على الخريطة ليس أمرًا غريبًا على جستنيان الثاني الذي عُرف عنه بأنه محبًا للانتقام ولدية رغبة قوية في سفك الدماء، كما يدل على أنه مختل العقل.

وعندما علم من تبقى من سكان خرسون بتلك الحملة قرروا المقاومة، وطلب المساعدة من الخزر، كما أنهم نجحوا في إقناع الوالي ألياس الذي تم تعينه من قِبل جستنيان بالانضمام إليهم، إضافة إلى القائد برادنس Bardanes؛ لذا عندما وصلت الحملة الثانية إلى خرسون وقامت بمحاصرتها جاء الخزر على الفور لنجدة الخرسونيين فتم فك الحصار، لكن جيش الحملة لم يجرؤوا على العودة إلى الإمبراطور وأخذوا يكيلون له اللعنات وبايعوا برادنس إمبراطورًا، وجن جنون جستنيان الثاني عندما علم بذلك ولا حظ خطورة الوضع؛ فأرسل اثنين من كبار شخصيات بيزنطة وكلفهما بإعادة الأمور إلى نصابها قدر الإمكان في خرسون، ورافق هؤلاء النائب الخزري تودون وثلاثمائة جندي [1] .

ويبدو أن محاولة جستنيان الثاني كانت متأخرة، فقد رفض سكان خرسون التعامل معهم، ولكنهم في اليوم التالي أظهروا لهم الترحاب وحسن المعاملة وطلبوا منهم دخول المدينة وهناك تم قتلهم وألقوا القبض على من تبقى، ثم أرسلوهم إلى حاكم الخزر، وفي الطريق مات تودون مما دفع

---

(1) Ioannis Zonarae: Epitomae Historiarum, p. 241, Georgius Cedrenus, p. 783, Theophanes : the Chronicle of Theophanes Confessor, p. 528, S. Nicephori Patriarchae Constantinopolitani, PG, 100, p. 949, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, p. 82, عمر يحي محمد: البيزنطيون والعرب، صـ ٢٩٦-٢٩٧، دنلوب د. م : تاريخ يهود الخزر، ص ٢٣٨.

الخزر إلى قتل ثلاثمائة جندي، ولما علم جستنيان بذلك قرر إرسال حملة ثالثة، ولكنها لم تفعل شيئًا وما لبثت أن غيرت ولاءها، ولما طال غيابها ظن جستنيان أنهم خانوه؛ فطلب النجدة من زعيم البلغار فأمده بثلاثة ألاف رجل خرج بهم مع جميع قواته، وتمركز بالقرب من خرسون حتى يراقب الوضع، وأثناء ذلك شاهد الأسطول البيزنطي عائدًا مع الإمبراطور الجديد برادنس- الذي لقب بـ فيليبيكوس- إلى بيزنطة، وعندما علم بأخبار جستنيان الثاني أسرع بالعودة إلى العاصمة(١)، ولا شك أن خروج جستنيان من العاصمة كان خطأ عسكريًا كبيرًا وقع فيه كلفه فقدان عرشه.

ويتضح من تلك الأحداث أن جستنيان الثاني قد أرسل ثلاث حملات عقابية ضد مدينة خرسون، الأولى: أسفرت عن مذبحة واسعة النطاق في المدينة، والثانية: جعلت أغلب مدن شبه جزيرة القرم وليس خرسون وحدها تتحد وتعلن تنصيب برادنس إمبراطورًا، والثالثة: أدت إلى سقوط جستنيان الثاني بشكل نهائي.

كما أن حملات جستنيان العقابية ضد خرسون قد أدت إلى نجاح الخزر في شبه جزيرة القرم، وقد ظهر هذا عندما وصلت الحملة الأولى عام ٧١٠م ووجدت في المدينة نائبًا عن حاكم الخزر، ومن المحتمل أن

---

(1) Ioannis Zonarae: Epitomae Historiarum, p. 241, Georgius Cedrenus, p. 783, Theophanes : the Chronicle of Theophanes Confessor, p. 529, S. Nicephori Patriarchae Constantinopolitani, PG, 100, pp. 949- 950, Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, pp. 82- 83,

عمر يحي محمد: البيزنطيون والعرب، صـ ٢٩٧-٢٩٨، دنلوب د. م : تاريخ يهود الخزر، صـ ٢٣٨- ٢٣٩.

يكون ذلك قد حدث منذ أن تدهورت الأوضاع داخل الإمبراطورية منذ عام ٧٠٥م؛ ولهذا لا نستغرب أن نرى الخزر يقفون بثقل كبير على مسرح الأحداث في القرم.

وفي النهاية أدت مؤامرات جستنيان الثاني وأعماله الانتقامية ضد مدينة خرسون إلى إلقاء الممتلكات البيزنطية في شبه جزيرة القرم في أحضان الخزر، كما أدت إلى فقدان الإمبراطورية لخرسون التي كانت تعتمد عليها في التجارة ومراقبة مدن الحدود الشمالية لبيزنطة.

الخاتمة:

وبعد الدراسة لموضوع السياسة البيزنطية في مدينة خرسون وأثرها في حماية الحدود البيزنطية " ٢٨٤- ٧١١م" يمكن الخروج بالعديد من النتائج الأتية:

- فرض موقع خرسون على الإمبراطورية البيزنطية الاعتماد عليها في العديد من المجالات، حيث كانت خرسون آخر المعاقل البيزنطية في شبه جزيرة القرم.

- قامت خرسون بدور مزدوج في حراسة المداخل الشمالية للممتلكات البيزنطية في شبه جزيرة القرم، وفي الوقت نفسه مراقبة تلك المناطق، حيث كانت مركز مراقبة لا يقدر بثمن؛ لذا كانت المدافع الأول عن مصالح الإمبراطورية في تلك المنطقة.

- أمدت خرسون المدن البيزنطية بكل ما تحتاجه من منتجات المنطقة الشمالية من جلود، وفراء، وعسل، وملح، وأسماك.

- اتساع الحركة التجارية في خرسون قد أدت إلى ثرائها، وبالتالي جعلها مطمع للغزاة.

- تقدير الأمبراطورية لأهمية خرسون؛ فكانت لا تتقاعس في حمايتها والاهتمام بها والدفاع عنها مهما كلفها.

- اسقرار الأوضاع السياسية في بيزنطة نتج عنه نشاط وازدهار الحركة التجارية في خرسون، وبقائها تحت سيطرت الدولة.

نقلاً عن: آرثر كيستلر: القبيلة الثالثة عشر ، ص٢٢١.

المصادر البيزنطية:

- Agathias, The Histories: Corpus Fontiun Historiae Byzantinae, Edid, Beck, H. G., New York, 1975.
- Constantine Porphyrogenitos; De Thematibus,ed.I.Bekker,CSHB, Bonnae,1840.
- ……. ; De Adminstrando Imperio, Greek Text Edited, Moravcsik, & others, Washington, 1967.
- Eusebius, P., The Life the Blessed Emperor Constantine, from 306 To 337 AD, London, 1845.
- Evagrius, The Ecclesiastical History of Evagrius Scholasticus, trans, Whitby, M., Liverpool, 2000.
- Georgius Cedrenus, CSB, Vol, 1, Bonnae, 1838.
- Ioannis Zonarae: Epitomae Historiarum, Libri XIII-XVIII, edidit, Buttner, Bonnae, 1898.
- John Skylitzes., A Synopsis of Byzantium History" 811-1057", treans, Wortley, J., Cambridge, Press, 2010.
- Leonis Diaconi, Caloensis Historiae, Tomus, III, Bonnae, 1828.
- Malalas,J., The Chronicle of John Malalas, trans, Scott, R., & Jeffreys,M., & Jeffreys , E., Melbourne, 1986.
- Menander; the History of Menander the Guardsman, trans, Blockley, R. C., Britain, 1985.

Nestor; The Russian Primary Chronicle; Translated and edited by Samuel Hazzard Cross, and Olgerd P. Sherbowitz, Wetzor, Third Printing, 1973.

- Platina, B., The Lives of the Popes: from the time of our Saviour Jesus Christ, London, D.N, 1898.

- Procpius, Buildings, trans, Dewing, H.B., vol, VII, London, 1971.

- Procpius, History of the Wars, trans, Dewing, H. B., vol, I, New York, 1914.

S. Nicephori Patriarchae Constantinopolitani; De rebus post Mauricium gestis, PG, 100.

- Symeon Magister aclogothete; in Theophanes Continuatus, **CSHB** ed Bekker. 1, Bonnae , 1838.

-Theophanes, the Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern history" AD 284- 813", trans, Mango,C., & Scott, R., Oxford, 1997.

- Theophanis; Chronographia, ex recensione Ioannis Classeni, Vol, 1, Bonnae, 1839.

- The Russian Primary Chronicle, trans, Cross, S. H., & Sherbowitz- Wester, O, P., Georgetown, 1953.

المصادر العربية والمعربة:

- ابن خرداذبه :"أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه ت. فى حدود عام ٣٠٠هـ/٩١٢م "، المسالك والممالك، ليدن، ١٨٨٩.

- البطريرك نقفور: التاريخ المختصر" ٦٠٢-٧٦٩م"، ترجمة وتعليق هاني عبد الهادي البشير، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.-

- قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة محمود سعيد عمران، القاهرة، ١٩٨٠.

- ميخائيل السريانى: تاريخ مار ميخائيل السريانى الكبير بطريرك أنطاكية، الجزء الثانى، حلب، ١٩٩٦.

- ياقوت الحموى:" شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى ت. ٦٢٦هـ، معجم البلدان، المجلد الأول، ١٩٣٧.

المراجع الأجنبية:

- Bury, J., A History of the Eastern Roman Empire: From The Fall Of Irene to The Accession Of Basil I,“A.D.802-867”, London, 1912.

- Dvornik, F., The Making of Central and Eastern Europe, London, 1949.

- ……., Les slaves, Byzance et Rome au Ix siecle, Paris, 1926.

- Finlay, G., History of the Byzantine and Greek Empires, London, 1854.

- Foord, E., the Byzantine Empire, London, 1911.

- Gregory, T.E., A History of Byzantium, 2005.

- Head, C., Justinian II of Byzantium, London, 1972.

- Hodgkin, T., Italy and her Invaders" 600- 644", Vol, VI, Oxford, 1895.

- James, D., the Numismatic Iconography of Justinian II, New York, 1959.

- Mango, C., The Oxford History of Byzantium, Oxford, 2002.

- Madgearu, A., Byzantine Military Organization on the Danube, 10th-12th Centuries, Boston, 2013.

- Mierow, C.C., The Gothic History of Jordanes, Priceton, 1915.

- Obolensky, D., Byzantium and the Slavs: Collected Studies, London, 1971.

Obolensky, D., the Byzantine Commonwealth Eastern Europe, 500-1453, New York, 1971.

- Stratos, A. N., Byzantium in the Seventh Century, Vol, 5, Amsterdam, 1980.

- ……. ., Byzantium in the Seventh Century" 602-634", Vol, 1, Amsterdam, 1968.

- Stephenson, P., Byzantium's Balkans Frontier, Cambridge, 2004.

Toynbee, A., Constantine Porphyrogenitus and his World, London, 1973.

- Vasiliev, A.A., The Goths in the Crimea, Cambridge, 1936.

- Vasiliev, A.A., History of the Byzantine Epire" 324-1453", Madison, 1952.

- المراجع العربية والمعربة:

- آرثر كيستلر: القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، ترجمة أحمد نجيب هاشم، القاهرة، ١٩٩١.
- أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط(٥٠٠-١١٠٠م)، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٦٠.
- السيد الباز العريني: تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٠.
- .....: مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١.
- جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨.
- دنلوب د. م : تاريخ يهود الخزر، ترجمة، سهيل زكار، الطبعة الثانية ،دار حسان، دمشق، ١٩٩٠.
- رانيا محمد إبراهيم: كرواتيا في العصور الوسطى من القرن السابع حتى الفتح العثماني، نور حوران، دمشق، ٢٠٢٠.
- زبيدة محمد عطا: الترك في العصور الوسطي" بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيين"، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى"التاريخ السياسى"،الجزء الأول ، الطبعة الخامسة ، القاهرة، ١٩٧٢.
- عمر يحي محمد: البيزنطيون والعرب" ٦٤١-٧١١م"، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩.
- عفاف سيد صبره: تاريخ الدولة البيزنطية، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٢.
- علية عبد السميع الجنزوري: العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية" ٨٦٧-١٠٥٦م"، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩.
- .....: الثغور البرية الإسلامية علي حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.

- فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الإحتكاك الحربي والإتصال الحضاري، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

- ليلى عبدالجواد اسماعيل: الدولة البيزنطية فى عصر هرقل وعلاقاتها بالمسلمين، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥.

- .....: صفحة من تاريخ الإسلام في روسيا. الإسلام والمسلمون في حوض الفولجا "جذورة التاريخية وواقعه المعاصر"، دالر الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦.

- محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي" عصر جوستنيان"، القاهرة، ١٩٨٩.

- محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، جـ٢، بيروت، ١٩٧١.

- محمد عبد الشافي المغربي: مملكة الخزر اليهودية وعلاقاتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطي، دار الوفاء، الأسكندرية، ٢٠٠٢.

- محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى: ديوان لغات الترك، مجلد١، انقرة، ١٣٣٣.

- محمود محمد الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥.

- محي الدين محمد محمود قاسم: التقسيم الإسلامي للمعمورة: دراسة في نشأة وتطور الجماعة الدولية في التنظيم الدولي الحديث، القاهرة، ١٩٩٦.

- مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦.

-هايد. ف : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، تقديم عز الدين فوده، الجزء الأول، الهيئه المصرية العامه للكتاب، ١٩٨٥.

- وسام عبد العزيز فرج: قراءة التاريخ الباكر "البوسنة – الصرب – كرواتيا"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

- وفاء مختار غزالى: السياسة الخارجية لدولة الفرنجة فى العصور الوسطى، الطبعة الأولى، دار الأفاق العربية، القاهرة،٢٠١٣.

- و. بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة احمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٩٦.

القواميس الاجنبية:

- Moore, W.G., The Penguin Encyclopedia of Places, Second Edition, New York, 1971.

- Kazhdan, P.A., The Oxford Dictionary of Byzantium, Vol, 1, & Vol, 2&3, Oxford, 1991.

- الدوريات الأجنبية:

- Beddoe John, on the Bulgarians, in the Journal of the Anthropological institute of Great Britan and Ireland, Vol. 8, 1879, pp. 232-239.

- Mogarichev, M., A New Source on the Problem of the Early Medieval Jewish Diaspora in Crimea, In Journal of Medieval and Islamic History, Vol. VI, Ukraine 2009, pp. 1-12.

- الدوريات العربية:

- أحمد حسين حسن: تجارة الحرير والصراع الفارسي البيزنطي في عهد جستنيان" ٥٢٧-٥٦٥م"، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الانسانية، ٢٠١٣، صـ ٢٩-٤٩.

- صلاح الأمين عبدالله محمد: البرابرة الجرمان ودورهم في سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب ٤٧٦م، بحث منشور في مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، كلية الآداب، جامعة بنغازي، العدد الثالث، ٢٠١٤، صـ ١٤٨- ١٧٢.

- طارق منصور: الأقاليم البيزنطية في ضوء كتاب قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس، بحث منشور ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى، الجزء الأول، دار مصر العربية، القاهرة، ٢٠٠١، صـ١٤٩- صـ١٩٣.

- محمد عثمان عبد الجليل دسوقي: أضواء على دور خرسون التجاري من القرن الخامس إلى القرن العاشر الميلادي، مركز الخدمة للاستشارات البحثية، كلية الآداب جامعة المنوفية، عدد مارس ٢٠١٠، صـ ١- ٢٤.

- وسام عبد العزيز فرج: الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط " من القرن السابع وحتي نهاية القرن الحادي عشر الميلادي"، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ٢٠٠٣، صـ ٧٧- ١١٣.

الرسائل العربية:

المتولي السيد تميم: البشناق والبيزنطيون: دراسة في سياسة بيزنطة الشمالية(٨٥٠-١١٢٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنصورة، القاهرة، ١٩٩٦.